بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

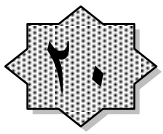


# ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٢٠ ـ محرم ١٤٢٩هجرية قمرية

دي ١٣٨٧هجرية شمسية / كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٩م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

**ثقافة التقريب**

**ملحق**

**رسالة التقريب**

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

**الإشراف العام**

**الشيخ محمد علي التسخيري**

**هيئة التحرير**

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

**إعداد المجلة:**

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com


## منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

# المحتوى

**العدد ٢٠**


حاجتنا إلى الحسين(ع) ..... ٤

وا إسلاماه!! ..... ٧

رسائل القرآن ..... ١٠

قضية فلسطين في رؤية السيد القائد ..... ١٧

مكر الاستكبار وواجب العلماء ..... ٢٢

مكانة الشهيد والشهادة ..... ٢٦

مفاهيم هامة في التقريب ..... ٣٥

فتى كربلاء العباس بن علي(ع) ..... ٤٩

النماذج التربوية في نهضة عاشوراء ..... ٥٦

واجب جميع المسلمين تجاه ذكرى الحسين(ع) ..... ٦٤

الحسين واستعادة العزّة ..... ٦٩

سمات الشعر العاشورائي ..... ٨٣

درر السمط في خبر السبط لابن الأبار القضاعي ..... ٨٩

الذنب يغير النعم ويبيد الامم ..... ٩٩

نصوص موثّقة من أقوال الحسين بن علي في كربلاء ..... ١١٢

من استراتيجية التقريب للايسيسكو ..... ١١٧

# حاجتُنا إلى الحسين(ع)

لا نرانا مبالغين إذا قلنا إن العالم الإسلامي يحتاج اليوم إلى الحسين بن علي(ع) أكثر من أي وقت مضى في تاريخه.

السبب واضح هو أن المسلمين لم يتعرضوا لعملية إذلال واسعة ولتحديات رهيبة تستهدف كرامتهم وهويتهم كهذا الذي يحدث اليوم.

ما يجري في «غزّة» لا يستهدف غزّة وحدها ولا أهالي غزّة وحدهم بل يتجه إلى تدمير العالم الإسلامي بأجمعه وقتل المسلمين بأجمعهم.

غزّة تمثل مظهرًا من مظاهر «الحياة» في هذه الأمة.. والعدوّ يريد القضاء على حياة الأمة أينما تجلّت وظهرت سواء في غزّة أو في أي مكان آخر.

يريد أن يرسّخ فينا قناعة بأننا ضعفاء ولابّد أن نستسلم.. يريد أن يقول للمسلمين بأنهم خلقوا ليأكلوا ويشربوا ويضاجعوا، ولا يتحقق لهم ذلك إلاّ إذا خضعوا واستكانوا وكانوا « كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلافِهَا وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا ».

لقد نجح العدوّ إلى حدّ كبير أن يفرض على الأمة حالة الهزيمة، وكان ذلك مع شديد الأسف باستخدام فئة من

المسلمين وأبناء المنطقة أنفسهم.

كم هي الجهود المبذولة على يد أبناء منطقتنا لإشاعة جوّ التحلل والابتذال وإثارة الشهوات والانغماس في الموبقات!!

كم هي الأقلام التي تحركت لتسلق مظاهر الإحياء والصحوة والعودة الإسلامية بألسنة حداد تحت عناوين مختلفة ومنها «الطائفية»!!

كم هي الفضائيات الناطقة بلغات الشعوب الإسلامية التي تصرف الانظار عن العدوّ الحقيقي لتخلق أعداءً موهومين!!

كل ذلك من أجل أن تصاب أمتنا بمرض فقدان المناعة في فكرها وشعورها.

من هنا تأتي حاجتنا الماسّة اليوم إلى الحسين بن علي(ع).

لنصيخ اسماع قلوبنا إلى صوته حيث ينادي:

«هيهات منّا الذلّة».

وحيث يقول:

«والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد».

وحيث ينشد:

سأمضي وماباالموتِ عارٌعلى الفتى إذا ما نَوى خيراً وجاهدَ مسلما

وواسَى رجالاً صالحينَ بنفسِهِ وخالفَ مثبوراً وفارق مجرماً

فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلمْ كفى بك ذلاً أن تعيشَ وتُرغما

نحتاج إلى الحسين ليعلمنا معنى النصر والهزيمة. وهذا

الشهيد السعيد سيد قطب يتحدث عن معنى النصر والهزيمة في تاريخ الأنبياء ثم يضرب مثلا من تاريخنا الإسلامي بالحسين «**وهو يُستشهد في تلك الصور العظيمة من جانب، المفجعة من جانب. أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصرًا. فما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه. يستوي في هذا المتشيّعون وغير المتشيعين، من المسلمين**» (من الظلال).

وهنا ونحن في أجواء الأحداث الدامية بغزّة إذ نرى نجاح العدوّ في فرض حالة الهزيمة على صعيد نرى أيضًا صوت الحسين يحبط مخطط فرض الهزيمة على صُعُد أخرى حيث سقوط الشهداء وهم يرفعون أيديهم إلى السماء مكبّرين، وحيث الأمهات والأخوات الصابرات المحتسبات وهنّ يوارين أجساد شهداء غزّة، وحيث الجماهير المؤمنة التي تدفقت إلى شوارع عواصم العالم الإسلامي تعبّر عن صمودها وإصرارها على الجهاد في سبيل الله ونصرة المظلومين في فلسطين، وحيث العدوّ الصهيوني يفقد صوابه ويمارس عمليات جنونية تنبئ بنهايته بإذن الله، وما ذلك على الله بعزيز.

# وا إسلاماه !!

## نداء الإمام القائد

## في مأساة غزة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

﴿إنا لله و إنا إليه راجعون﴾

الجريمة المروّعة التي ارتكبها الكيان الصهيوني في غزة و المجزرة التي تعرّض لها المئات من الرجال و النساء و الأطفال المظلومون كشفت مرة أخرى عن الوجه السفاح للصهاينة الذئاب من وراء أقنعة زيف الأعوام الأخيرة، و أنذرت الغافلين والمتسامحين بأخطار وجود هذا الكافر المحارب في قلب أراضي الأمة الإسلامية. مصيبة هذا الحدث الفظيع جليلة و فادحة جداً لكل مسلم بل لكل إنسان صاحب ضمير و شرف في أي مكان من العالم، بيد أن المصيبة الأكبر هي الصمت المشجّع لبعض الحكومات العربية التي تدعي الإسلام. أية مصيبة أعظم من أن تتخذ الحكومات المسلمة التي يجب أن تدعم أهالي غزة المظلومين إزاء الكيان الغاصب الكافر المحارب، أن تتخذ سلوكاً يجعل الساسة الصهاينة المجرمين يصفونها بكل وقاحة بأنها متناغمة مع هذه الجرائم المروعة وموافقة عليها؟!!

أي جواب سيكون لهذه البلدان أمام رسول الله صلى الله عليه وآله؟!! و أي جواب سيقدمونه لشعوبهم المفجوعة بهذه المأساة؟!!

لا شك أن قلوب الشعوب في مصر، و الأردن، و باقي البلدان الإسلامية اليوم دامية جرّاء هذه المجزرة التي جاءت عقب ذلك الحصار الطويل في الأطعمة و الأدوية.

حكومة بوش المجرمة بتأييدها لهذه الجريمة الفادحة في الأيام الأخيرة من عمرها المخزي، سوّدت وجه النظام الأمريكي أكثر من السابق، وضخّمت ملفّ جرائمها باعتبارها مجرمة حرب. والحكومات الأوربية أثبتت مرة أخرى عدم اكتراثها و ربما مواكبتها لهذه الفاجعة العظمى، أثبتت كذب ادعاءاتها في مناصرة حقوق الإنسان، و برهنت على مشاركتها في جبهة معاداة الإسلام والمسلمين.

والآن، سؤالي للعلماء و رجال الدين في العالم العربي ورؤساء الأزهر في مصر هو: ألم يئن الأوان كي يشعروا بالخطر على الإسلام و المسلمين؟!! ألم يئن الأوان للعمل بواجب النهي عن المنكر و قول كلمة حق عند إمام جائر؟! هل هناك حاجة لدواعٍ أُخَر أوضح مما يجري في غزة و فلسطين للتدليل على تعاضد الكفار الحربيين مع منافقي الأمة لقمع المسلمين كي تشعروا أنتم بالواجب؟!!

سؤالي لوسائل الإعلام و المثقفين في العالم الإسلامي وخصوصاً العالم العربي هو: إلى متى تظلون غير مكترثين حيال مسؤولياتكم الإعلامية و الثقافية. هل هناك فضيحة لمنظمات حقوق الإنسان الغربية وما يسمى بمجلس الأمن في منظمة الأمم

المتحدة أكثر من هذا؟

جميع المجاهدين الفلسطينين و كافة المؤمنين في العالم الإسلامي مكلّفون بالدفاع عن النساء و الأطفال و الأهالي العزّل في غزة بكل السبل الممكنة، و كل من يُقتل في هذا الدفاع المشروع المقدس فهو شهيد و يرجى أن يحشر أمام رسول الله صلى الله عليه و آله في صفوف شهداء بدر و أحد.

على منظمة المؤتمر الإسلامي أن تعمل بواجبها التاريخي في هذه الظروف الحساسة و تشكل جبهة موحّدة حيال الكيان الصهيوني بعيداً عن التحفظات و الانفعال. ينبغي معاقبة الكيان الصهيوني على يد الدول المسلمة. و رؤساء ذلك الكيان الغاصب يجب أن يحاكموا و يعاقبوا لارتكابهم هذه الجريمة و فرضهم ذلك الحصار الطويل.

بمقدور الشعوب المسلمة تحقيق هذه المطالبات بعزيمتها الراسخة، و واجب الساسة و العلماء و المثقفين في هذه البرهة من الزمن أكبر بكثير من الآخرين.

إنني أعلن يوم الإثنين عزاءً عاماً بمناسبة فاجعة غزة، و أدعو مسؤولي البلاد لأداء واجباتهم إزاء هذا الحدث المحزن.

﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

سيد علي الخامنئي

٢٩ ذي الحجة الحرام ١٤٢٩

# رسائل القرآن

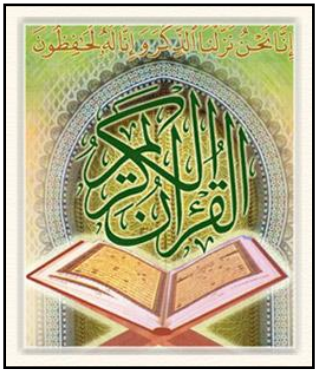


بسم الله الرحمن الرحيم

محسن قراءتي*

٧٢-﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

**الرسائل:**

● عاد القرآن ليذكّر بموجز القصّة، فإنهم قتلوا نفسًا ثم ﴿إدارأتم فيها﴾ أي اختلفتم ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ أي مظهر ما كنتم تُسرّون من القتل. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله(ص): «لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة صمّاء لا بابَ فيها ولا كُوّة خرجَ عملُه إلى الناس كائنًا ماكان».

● في الروايات أن البقرة الموصوفة بالصفات المذكورة في الآيات كانت عند شاب واجه صفقة مربحة، لكن حانوته كان مغلقًا

* ـ داعية إسلامي معروف.

والمفتاح تحت رأس والده النائم. فأبى أن يوقظ والده وأن يروّعه من نومته، وترك الصفقة، فعوّضه الله سبحانه عن ذلك، إذ اضطر بنو إسرائيل إلى شراء البقرة بثمن باهظ. وفي ذلك قال موسى(عليه السلام): «انظروا إلى البرّ ما يبلغ بأهله»

● من رضي بذنب قوم كان شريكًا لهم في ذنبهم. القرآن الكريم يخاطب اليهود المعاصرين للنبي(ص) بقوله: ﴿ قتلتم﴾ وكأنهم كانوا راضين عما حصل مِن قتلٍ في زمن موسى(ع).

● قد يتحايل الإنسان للإفلات من جرم ارتكبه، وقد يُلقي تبعةَ ذلك على غيره، لكنّ الله سبحانه له بالمرصاد، فيخرج ما هو مكتوم: ﴿والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون﴾ .

## ٧٣-﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

**الرسائل:**

● جاء الأمر بضرب المقتول ببعض أعضاء البقرة، فعاد المقتول إلى الحياة. والأمر صدر إلى الناس: ﴿ اضرِبُوه﴾ والناس فعلوا ذلك بأنفسهم، ولم يفعل ذلك موسى، وهذا اهتمام بكسب ثقة الناس.

● في الحادثة دلالة على قدرة الله على إحياء الموتى، وعلى البعث يوم القيامة: ﴿ كذلك يحيي الله الموتى﴾ .

● عرض الآيات إنما هو للتعقل الدائم، لا للاندهاش الموقت: ﴿يريكم آياته لعلكم تتقون﴾ .

● تلوث الروح الإنسانية يحول دون التعقّل، ولذلك جاء السياق بكلمة «لعلّ»: ﴿ لعلكم تعقلون﴾ .

٧٤- ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

**الرسائل:**

● الآيات السابقة ذكرت ألطاف رب العالمين ببني إسرائيل. من قبيل: الخلاص من شرّ فرعون، وانفلاق البحر، وقبول التوبة من عبدة العجل، ونزول أفضل الطعام، وتظليل الغمام، ورفع الطور، والقيادة النبويّة.. ثم اكتشاف القاتل بصورة معجزة. وفي هذه الآية الكريمة ذكر لما أصاب بني إسرائيل من قسوة نتيجة عنادهم ولجاجهم وعدم اعتبارهم بالآيات المتتالية، فأصبحت قلوبهم كالحجارة بل أشدّ قسوة منها.

● في الآية الكريمة إشارة إلى ثلاث حالات للحجر:

- ﴿ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ﴾ بعد أن تنشق ويجري منها الماء.
- ﴿ يخرج منه الماء﴾ فلا تجري منها الأنهار، بل تصيب ما حولها بالماء.
- ﴿ يهبط من خشية الله ﴾ أي تسقط من خشية رب العالمين.

الحالة الأولى والثانية من الحجر مشهودة، غير أن السقوط من خشية الله بحاجة إلى فهم عميق يرى فيها ذرات الكون بأجمعها

واعية مدركة تتحرك وفق نواميس أودعها الله سبحانه في هذا الكون.

● أفظع مايصاب به الإنسان هو قسوة القلب، ويحصل ذلك نتيجة الإصرار على المواقف الخاطئة واللجاج والعناد: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾.

● علينا أن نحذر من انحراف ينتقل عادة إلى الأجيال، فالأجداد قست قلوبهم ويخاطب القرآن أحفادهم بقوله : ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾.

● العلم وحده لا يلين القلب ولا ينيره، فالقوم بعد كل ما رأوا من معاجز أصيبوا بقسوة القلب: ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك﴾ .

● قسوة القلب لها مراتب : ﴿ كالحجارة، أو أشد قسوة﴾

● بالتشبيه البسيط يمكن بيان أعمق المعارف: ﴿كالحجارة﴾

● النقد يجب أن يقترن بالاستدلال ، فحين قال: ﴿أو أشد قسوة﴾ ذكر دليل ذلك: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر...﴾

● قسوة القلب تنعكس في الأعمال: ﴿قست قلوبكم.. عمّا تعملون﴾

● الله سبحانه عالم بكل ما نعمل: ﴿وما الله بغافل عمّا تعملون﴾

٧٥- ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

**الرسائل:**

- أن تطمع الجماعة المسلمة في أن يؤمن لها الناس أمر جيّد، ولكنها يجب أن تعلم أن هذا التوفيق لاينالـه جميع الناس: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم.. ﴾
- أكبر خطر على إيمان الناس وجود فئة تتعارض مصالحها مع الرسالة فتعمد إلى تحريفها: ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان..﴾
- الدقة في الحكم على الناس ضرورية، فلم يكن كل اليهود من المحرفين: ﴿ وقد كان فريق منهم .. يحرّفونه﴾
- المحرفون عادة يفعلون ذلك عن علم: ﴿ من بعد ما عقلوه﴾ وهؤلاء أخطر فئة في المجتمع، إذ لا أمل في اصلاحهم، بينما الأمل كبير في إصلاح العامة الجاهلة.
- معرفة الحقّ، غير الإيمان بالحق. فثمة أفراد عقلوا كلام الله، لكنهم عمدوا إلى تحريفه: ﴿ يحرّفونه من بعد ما عقلوه﴾
- التحريف يبلغ ذروته في الخطورة حين يكون عن عقل وتدبير: ﴿يحرفونه من بعدما عقلوه﴾
- التحريف غالبًا يصدر عن بغي العلماء: ﴿ يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾

٧٦- ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾

**الرسائل:**

● هؤلاء اليهود حين يلتقون المسلمين يقولون: نحن آمنا بسبب وجود علامات محمد(ص) في التوراة. وحين يخلو بعضهم إلى بعض يتلاومون على ما فعلوا، ويقولون: هل تحدّثون المسلمين بما نزل عليكم في التوراة ليكون عند المسلمين حجة لهم عند الله؟! إذ يرون ذلك خلاف العقل!!

● كثير من الحقائق تختفي، وكثير من الناس يعرض عن الحق بسبب التخويف والتهديد والإرهاب: ﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم... ﴾

● المنحرفون يرون في النفاق وكتمان الحقائق عملاً عقلانيًا، ظانين أنهم بذلك يحافظون على مكانتهم: ﴿ أتحدثونهم.. أفلا تعقلون ﴾

٧٧-﴿ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

**الرسائل:**

● الإيمان برقابة الله سبحانه يصون الإنسان من الانحراف: ﴿أولا لا يعلمون أن الله يعلم... ﴾

● السرّ والعلانية هما عند الله على حدٍّ سواء: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ .

٧٨-﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾

**الرسائل:**

- خلافاً للفريق الذي يحرفون ﴿ من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾ وهم علماء اليهود، فإن عامة اليهود كانوا لا يعلمون شيئاً من التوراة، بل كانوا يعيشون في أوهام وأمنيات كاذبة تقوم على أنهم شعب الله المختار، وهم معفوون من جزاء الله، وسنرى تلك الأماني الواهية في آيات أخرى من سور البقرة (١٠٩) والنساء (٨٠ و١٢٠) والمائدة (٢١).
- لابدّ من معرفة خلفيات أفراد المجتمع وما يدور في خلدهم من أفكار وعقائد: ﴿ ومنهم أميّون﴾
- الأمية نقص مع وجود الكتاب والمعلم، ولابدّ من السعي للحصول على العلم الحقيقي بالكتاب، وإلاّ يوجّه نقد الآية إليهم: ﴿ ومنهم أميّون لا يعلمون الكتاب ﴾ ...
- الأميّة تفرز الأماني الكاذبة والأوهام الخادعة: ﴿أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ﴾
- التمنيات والتطلعات يجب أن تقوم على أساس العلم: ﴿إن هم إلاّ يظنّون﴾
- لا يجوز أن تقوم المعتقدات على أساس الأوهام: ﴿ إن هم إلاّ يظنّون ﴾

# قضية فلسطين
# في رؤية السيد القائد

**• موقفنا واضح ومنطقي ومعقول: يجب أن ينال الشعب الفلسطيني حقّه • مرور الزمان لا يزيل الجريمة ولا يقلّل من فداحتها • انسحاب الصهاينة من غزّة لم يكن نتيجة محادثات بل نتيجة المقاومة الفلسطينية • ما ينزل بالفلسطينيين من ظلم سيكون وصمة عار في جبين التاريخ •مقاومة الشعب الفلسطيني ستظل رمزا لعظمة الإنسان وصموده وإرادته • سكوت الحكومات المسلمة عمّا يجري عجيب حقا.**

موقفنا من القضية الفلسطينية موقف منطقي ومقبول. قبل عشرات السنين كان ثمة شعار يُطلق في زمن جمال عبدالناصر -الذي حظي بشعبية عربية واسعة – يقول: سنقذف اليهود الغاصبين لفلسطين في البحر. وبعده بسنين كان صدام حسين -الذين كان الوجه الكريه في الساحة العربية – يقول: سنحرق نصف أرض فلسطين. نحن نرفض الشعارين. في أصولنا الإسلامية لا إلقاء اليهود في البحر ولا إحراق نصف فلسطين معقولاً أو منطقيًا.

موقفنا أن الشعب الفلسطيني يجب أن ينال حقّه. هذا البلد ملك للشعب الفلسطيني، فلسطين ملك الفلسطينيين، ومصير الفلسطينيين يجب أن يقرره الفلسطينيون. وهذه ساحة اختبار لمصداقية أدعياء الديمقراطية وحقوق الإنسان.

الشعب الفلسطيني بمسلميه ومسيحييه ويهوده هم المالكون لفلسطين، والوثائق التاريخية والجغرافية تشهد على ذلك، وهؤلاء هم الذين يقررون مصير حكومة فلسطين في استفتاء عام أمام أنظار العالم. وتلك الحكومة ستكون حكومة شرعية. في إطار تلك الحكومة يجب معاقبة الجناة الذين ارتكبوا الجرائم في فلسطين. وتلك الحكومة ستتخذ القرار بشأن الذين هاجروا إلى فلسطين من أرجاء العالم. هذا كلام منطقي.

ملايين الفلسطينيين يعيشون اليوم في الشتات وملايين الفلسطينيين يعيشون في أسوأ حال في المخيمات، لكن أرضهم بيد أناس آخرين. ليس هذا الأمر معقولاً وليس منطقيًا.

مرور خمسين أو خمس وخمسين سنة على هذه القضية لا يزيل هذه الجريمة، ولا يقلل من فداحتها. مرور الزمان لا يمكن أن يزيل من لائحة العالم حقاً كالحق الفلسطيني. فلسطين حية وشعب فلسطين حيّ ومستقبل فلسطين واعد ووضّاء.

الشعب الفلسطيني يجب أن يعتمد على الله وعلى قواه الذاتية وأن يبعد عنه الشعور بالتعب. عليه أن يحافظ على إيمانه وإرادته ودافعه وطموحاته. كما أن جنوب لبنان قد عاد بعد اثنين وعشرين عامًا، فإنه من الممكن أن تعود بعد سنين أجزاء من

فلسطين المحتلة، ثم في النهاية تعود كل فلسطين المحتلة إلى الشعب الفلسطيني. اليوم يرى كثير من الناس أن هذا الأمر بعيد، وبالأمس كان هناك من يرى تحرير جنوب لبنان بعيدًا ومحالاً، لكن ذلك حدث.

انسحاب الصهاينة من غزّة بعد ٣٨ عامًا من الاحتلال حادثة على غاية من الأهمية. جدير أن تعلموا أن هذا الانسحاب لم يكن عن رغبة لدى النظام الصهيوني. كان فشلاً وإجبارًا، كان عن اضطرار. والآن نرى الضغوط النفسية لهذا الفشل بادية على جميع أركان الكيان الصهيوني وتهزّه هزًا. يريد بعضهم أن يوحي بأن هذه الانسحاب كان نتيجة المحادثات. هذا كلام طفولي فجّ. خلال سبعين عامًا من احتلال فلسطين لم ينسحب الصهاينة عن متر من الأراضي المحتلة. أية محادثات؟! كان هذا الانسحاب نتيجة المقاومة الفلسطينية. الحادثة الأولى كانت الانسحاب والهزيمة في جنوب لبنان، وهذه هي الحادثة الثانية التي تحققت على أثر المقاومة.

القضية الفلسطينية لا يمكن حلها بهذا الشكل. لا يمكن إنهاء القضية بالانسحاب عن قسم من الأراضي المحتلة. أنْ يأتي شخص يحتل بيتك بالقوّة، ثم بعد مدة يعطيك غرفة صغيرة في زاوية من البيت، ويسجّل بقية البيت باسمه!! هل هذا ممكن؟!

سلبوا فلسطين، والآن اضطروا للانسحاب من زاوية من فلسطين. ويريدون أن يقال لهم طيب، الآن إذ انسحبتم من هذه الزاوية فإن كل بقية فلسطين هي ملككم!! هل هذا ممكن؟!

مسألة فلسطين لا يمكن حلّها بهذا الشكل.

في قضية فلسطين ثمة ثلاث مسائل هامة، أشرت إليها، وهذه المسائل البارزة ستبقى في ذاكرة التاريخ.

المسألة الأولى ما يرتكبه الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني من ظلم فظيع قلّ له نظير.

هذا سيبقى في صفحات التاريخ. شابٌ عانى من أنواع المصائب والويلات يضحّي بنفسه لينزل ضربه بأولئك الذين اغتصبوا داره، ثم يُستشهد هو في الحادث، ويأتي الصهاينة على أثر ذلك إلى بيت ذلك الشاب ووالده ووالدته فيهدمونه بالجرافات، وينزلون أنواع الأذى والتعذيب بأسرته. يقتحمون المخيمات والمدن بالدبابات، ويشنون هجومهم على البيوت فيهدمونها وعلى المزارع فيجرفونها ويزهقون أرواح الناس. أصبح قتل الأطفال والشباب والشيوخ من الرجال والنساء في فلسطين ممارسة يومية!! إن هذا لأمر عجيب، هذه حوادث تاريخية وستبقى في ذاكرة التاريخ.

المسألة الثانية: التي ستخلد في التاريخ ما يسجله الشعب الفلسطيني من أسطورة في الصبر والاستقامة. شعب محاصَر، ووحيد ويحيط به الأعداء، لكنه صامد بهذا الشكل . يصبر على الجوع وعلى أحزان فقدان الأبناء والشباب، وعلى هدم البيوت وتجريف المزارع وعلى البطالة. ملايين الفلسطينيين، وهم طبعًا ليسوا جميعًا من أعضاء الأحزاب والفصائل، يقفون بنسائهم ورجالهم وصغارهم وكبارهم وشيوخهم صامدين بكل اقتدار. وهذا سيبقى خالدًا في التاريخ، هذه المسألة بارزة في القضية

الفلسطينية، وستُلفت إليها الأنظار في التاريخ.

المسألة الثالثة: سكوت المحافل الدولية والحكومات. هؤلاء السادة الأوربيون يتبجّحون بحقوق الإنسان، ويبدون اهتمامهم بحقوق الإنسان، لكنهم يؤثرون السكوت غالبًا أمام هذه الحوادث، بل كثيرًا ما يساعدون الظالمين. هذا عجيب حقًا.

دعنا عن أمريكا، فهي شريكة في هذه الجريمة، الحكومات الأمريكية يدها ملطخة حتى المرفق بالدم الفلسطيني.

لو قُدّر لمحكمة أن تقضي بشأن الفلسطينيين فالمتهم في تلك المحكمة ليس الصهاينة فحسب، بل المتهم أيضًا أمريكا وبوش هذا وبطانته والحكومات الأمريكية. هؤلاء أيضا في رأس قائمة المتهمين، دعنا عن هؤلاء. المسألة مسألة المجامع الدولية، مسألة منظمة الأمم المتحدة، مسألة الحكومات الأوربية الذين يتبجّحون بحقوق الإنسان لكنهم يتجاهلون هذه الحقوق (في فلسطين) ولا يعيرونها احترامًا. وطبعًا هذه أيضًا مسألة الحكومات الأخرى، سكوت الحكومات المسلمة عجيب حقًا!!

فلسطين اليوم تواصل باسم الله كفاحها ببركة وعظمة. وستتجلى مرة أخرى غلبة إرادة الإنسان الذي يعقد قلبه على الإيمان بالله والثقة بنفسه، على كل القوى المادية. سيرى العالم أن الشعب الفلسطيني في ظل استقامته يقطع الطريق نحو أهدافه مرحلة بعد مرحلة. فلسطين ملك الفلسطينيين. هذا الشعب اليوم حاضر في الساحة، وقد ملأ أجواء العالم الإسلامي بما سجله من حماسة في الساحة الدولية بمقاومته الشجاعة.

# مكر الاستكبار
# وواجب العلماء

محمد علي التسخيري*

**• خط الشيطان لم يستطع أن يقف بوجه الحضارة الإسلامية • مؤامرات الاستكبار العالمي جوبهت وهي في ذروتها بتصاعد الصحوة الإسلامية •أدرك الاستكبار أن ممارسة القوة ليست كافية بل لا بدّ من المكر • كانت خطته الماكرة تحويل العالم الإسلامي من مواجهة عدوه الحقيقي صوب عدوّ وهمي •تهدف قوى الهيمنة العالمية إلى تفجير مخملي للعالم الإسلامي • واجب العلماء اليوم تعميق الصحوة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة والتلاحم.**

لقد كانت المعركة سجالاً منذ بدء الخليقة الإنسانية بين خط الحق وخط الباطل ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:٣٦)

وهكذا كان الحال بالنسبة للتجربة الإسلامية وهي خاتمة التجارب النبوية فكان هناك خط الإيمان وكان في قباله خط

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

الشيطان يعرقل ويمانع ويصد عن سبيل الله مستخدماً سلاح القوة والمكر والمال ومزمجرًا معربدًا متباهيًا، إلا أن كل ذلك لم يمنع الخط المؤمن من الاستقامة محولاً كل التهديدات الى فرص: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل‌عمران:١٧٣) .

وانتصر خط الحق بتأييد الله ووحدة قلوب المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (لأنفال: من الآية٦٢)

ولكن خط الشيطان استمر في عدائه العسكري والثقافي والتمزيق، فلم يفلح في منع المسلمين من صنع أروع حضارة إنسانية نشرت النور والحياة عبر التاريخ.

إلا أن امتنا الإسلامية مرت لفترات زمنية عمتها الغفوة وشملها التخدير وعملت الأفكار اللاعقلانية التجزيئية على الصعيد الفكري والسياسي والاجتماعي عملها في تمزيق الجسد المسلم، فعاد ممزقاً في رؤيته الكونية وشخصيته، حائراً بين الشريعة والمناهج الوضعية والولاءات المتعددة والآلهة الوهمية، مما شكل القابلية المناسبة للاحتلال على مختلف الصعد، حتى رأينا الكفر يحتل كل الأرض الإسلامية تقريباً في منتصف القرن العشرين.

واليوم وبعد ما رأيناه من عودة الصحوة الإسلامية وانهيار

أطروحات الاستعمار بوجهيه المباشر وغير المباشر في تعميم التفرقة وتركيز التخلف وتأصيل العلمانية في العالم الإسلامي، وذلك بكل ما يمتلك من طاقات (القهر والمكر والبتر) لكنه جوبه بعودة الصحوة والإيمان بالحل الإسلامي الوحيد، تعشقه الجماهير وتؤمن به، وزاد من هذا الإيمان انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وانتصار الجهاد في أفغانستان واندلاع الانتفاضتين البطلتين في فلسطين وبالتالي انهيار الاتحاد السوفيتي وغير ذلك.

لقد راجع الاستكبار حساباته وراح يكتب استراتيجيته العامة في التسعينات بهدف تثبيت سيطرته الأحادية على العالم وضرب أكبر مانع منها وهو الصحوة الإسلامية، واتخذ منهج الحصار لكل منائر الصحوة وعقبات النفوذ، داعماً كل قلاعه، وفي طليعتها العدو الصهيوني الغادر.

ولكنه راح يواجه الهزائم تلو الهزائم، وكان آخرها الهزيمة النكراء التي نفذتها فئة قليلة من خط الإيمان، فحطمت أساطيره وأرغمت انفه في التراب.

وهنا أدرك أن القوة لا قيمة لها لوحدها دون أن يستخدم معها المكر، وبعض قلاع الكفر خبيرة بارعة فيه، فكانت الخطة الماكرة التي تحول مؤشر بوصلة العالم الإسلامي من عدوه الحقيقي الى

عدو وهمي، لتعود الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي سعت لتطبيق الإسلام على كل حياتها، وحملت القضية الإسلامية مدافعة عنها هنا وهناك، دونما نفس طائفي ولا قومي ولا استعلائي، لتعود هي العدو، وينسى المسلمون إسرائيل ومعاقل الاستعمار، وليعود السني ينظر الى الشيعي وبالعكس باعتباره أكبر تحدٍ له، ولتعود حالات التكفير والتفسيق والتبديع تمزق جسد الأمة ووحدتها.

إنني أؤمن أن استغلال العدو للخلافات الطبيعية الاجتهادية بين الشيعة والسنة، وتحريك العناصر التكفيرية من الجانبين، وعقد الاجتماعات الطائفية، وإطلاق التهم القديمة التي تجاوزتها الأمة، والتنابز بالألقاب، واستغلال النزاعات السياسية في لبنان والعراق، وإلباسها لبوساً طائفياً، بل ودس عملاء لتفجير أماكن عبادة الطرفين ونسبة ذلك الى الطرف الآخر، وأمثال ذلك يمثل تفجيراً مخملياً للوضع في عالمنا الإسلامي رداً على التفجير الأهوج الآني في ١١ سبتمبر.

وهنا يكون من واجب العلماء اليوم العمل على تعميق الصحوة الإسلامية وإشاعة عوامل الوحدة والتلاحم، ومن أهمها توعية الجماهير بمكمن الخطر والعدو الحقيقي وتذكيرها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (لأنفال:٧٣)

# مكانة الشهيد والشهادة

مرتضى مطهري *

**• كلمة الشهيد مقرونة دائما بالقداسة والعظمة •الشهيد يبلغ أسمى درجة في التكامل الإنساني • الشهيد يوفّر الأجواء لكل بقية العاملين في سبيل سعادة البشرية • للشهادة وجهان: وجه بشع في انتسابها للقاتل ووجه مقدس في انتسابها للمقتول • ليس من الصحيح أن نحصر الحسين(ع) في إطار الضحية بيد الطواغيت • الوجه الآخر لشهادة الحسين هو المقاومة الذكية الواعية على طريق الهدف المقدس.**

### قدسية الشهيد

ثمة كلمة لها في عرف البشرية عامة، وفي عرف المسلمين خاصة قدسية وعظمة واحترام.

العالم، والفيلسوف، والمخترع، والبطل، والمصلح، والمجتهد، والأستاذ، والطالب، والعابد، والزاهد، والمؤمن، والمجاهد، والمهاجر، والصديق، والآمر بالمعروف، والوليّ، والإمام، والنبي.. كلمات، بعضها مقرون بالعظمة والاحترام لدن أبناء البشر عامة.. وبعضها الآخر تحمل هذه الصفة عند المسلمين خاصة.

---

* - مفكر إسلامي كبير.

ومن الطبيعي أن اللفظ لا يحمل طابع القداسة بنفسه، بل بما ينطوي عليه من معنى..

جميع المجتمعات البشرية تنظر بعين التقديس إلى بعض المفاهيم مع اختلاف طفيف بينها.. وهذا التقديس يرتبط بجوانب خاصة من نفسية هذه المجتمعات في حقل تقويمها للأمور غير الماديّة.

وهذه المسألة تحتاج إلى دراسة فلسفية وإنسانية معمقة لسنا بصددها الآن.

و«الشهيد» كلمة لها في الإطار الإسلامي قداسة خاصة..

والإنسان الذي يعيش المفاهيم الإسلامية ينظر إلى هذه الكلمة وكأنها مؤطرة بهالة من نور.

كلمة الشهيد مقرونة بالقداسة والعظمة في جميع أعراف المجموعات البشرية مع اختلاف بينها في الموازين والمقاييس، ولسنا بصدد الحديث عن المفهوم غير الإسلامي لهذه الكلمة.

الشهيد ـــ في المعايير الإسلامية ـــ هو الذي نال درجة «الشهادة».. أي الذي بذل نفسه، على طريق الأهداف الإسلامية السامية، ومن أجل تحقيق القيم الإنسانية الواقعية.

والإنسان الشهيد في المفهوم الإسلامي يبلغ ـ بشهادته ـ أسمى درجة يمكن أن يصلها الإنسان في مسيرته التكاملية.

نستطيع أن نفهم سبب قدسية كلمة «الشهيد» في الإسلام وفي أنظار المسلمين من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن

الشهادة والشهيد، وكذلك من خلال ما وصلنا من روايات في هذا الحقل.

### مكانة الشهيد

القرآن الكريم يقول عن الشهيد:

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/ ١٦٩).

فالشهداء ـ إذن ـ «أحياء» و«عند ربهم يرزقون».. وما أعظمها من منزلة!!

والسُنّة تُكثر من تشبيه المكانة السامية التي يمكن أن ينالها إنسان في حياته بمكانة الشهيد.. لأنها ذروة الرقي والتكامل في المسيرة الإنسانية..

فالسائرون على طريق طلب العلم، من أجل التعرف على الحقيقة، وطلباً لمرضاة الله تعالى، لا بهدف الترفّع والاتّجار، هم شهداء في مفهوم الروايات الإسلامية إن توفّاهم الله على هذا الطريق.

وهذا التشبيه يدل على علوّ مكانة طالب العلم إضافة لما له من دلالة على أن الشهادة هي الذروة في مسيرة الإنسان التكاملية.

ونظير هذا التشبيه ورد بشأن الساعي على طريق إدارة دفّة اقتصاد عائلته، وبالتالي على طريق إدارة اقتصاد مجتمعه.. في الحديث: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»...

## حق الشهيد

كل أولئك الذين خدموا البشرية بشكل من الأشكال لهم حقّ على بني الإنسان، سواء أسدوا خدماتهم عن طريق العلم أم الفكر أم الفلسفة والاختراع والاكتشاف أم الأخلاق والحكمة العملية.

لكنّ أيّ واحد من هؤلاء ليس له على البشرية حقّ كما للشهيد..

ومن هنا فإن ما يكنّه أبناء البشر من تعاطف وانشداد تجاه الشهداء يفوق ما يكنّونه تجاه سائر خَدَمَة البشرية.

ولماذا هذا التفوّق؟

الدليل واضح.. كل المجموعات التي أسدت خدمات إلى البشرية مَدينة للشهداء.. لكن الشهداء قلّما كانوا مدينين لهذه المجموعات.

العالم في علمه.. والفيلسوف في فلسفته.. والمخترع في اختراعه.. ومعلّم الأخلاق في تعاليمه، محتاجون إلى أجواء حرّة مساعدة كي يقدّموا خدماتهم..

والشهيد بتضحياته يوفّر هذه الأجواء..

الشهيد كالشمعة التي تحترق وتفنى لتضيء الطريق للآخرين..

الشهداء شموع البشرية على طريقها اللاحب الطويل..

ولولا هذه الشموع لما استطاعت المسيرة البشرية أن تواصل طريقها، ولما استطاع أبناء البشر في ظلمات الاستعباد والاستبداد أن يمارسوا نشاطاتهم ويقدّموا خدماتهم الإنسانية.

والله سبحانه يخاطب نبيه الكريم قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب/ ٤٤ -٤٥).

و«السراج المنير» مفهوم يدل على الإضاءة، وينطوي على معنى الاحتراق وإزالة دياجير الظلام.

### جسد الشهيد

أحكام الإسلام تقوم كلّها على أساس الحكمة والمصلحة، وجميعها لها دلالاتها الخاصة، وخاصة دلالاتها الاجتماعية.

ومن هذه الأحكام ما يتعلّق بالميّت من غسل وتكفين وصلاة ودفن، وكلها ذات معان خاصة لسنا بصدد الحديث عنها.

إلا أن أحكام الميت هذه لها استثناء.. وهذا الاستثناء يختصّ بجسد الشهيد.

فأحكام الميت لا تُطبق على جسد الشهيد سوى الصلاة والدفن، أما الغسل والتكفين.. فلا.

الشهيد يدفن بدمه وملابسه..

وهذا الاستثناء له مغزاه العميق، إنه يرمز إلى أن روح الشهيد بلغت درجة من السموّ والطهارة بحيث ترك هذا السمو والطُّهر آثاره على جسد الشهيد وعلى دمه، بل وحتى على ما يرتديه من لباس.

بدن الشهد «جسد متروّح» إن صح التعبير، أي أضحى وجوداً تجري عليه أحكام الروح..

ولباسه أضحى.. «لباساً متجسداً» أي تجري عليه أحكام الجسد الذي يضمّ تلك الروح الطاهرة.

فجسد الشهيد ولباسه اكتسبا الشرف من طُهر روحه وعلوّ فكره وسموّ تضحيته.

وتلك دلالة أخرى على قداسة الشهيد في المفهوم الإسلامي...

## منشأ القدسية

ما هو مبعث القدسية في «الشهادة» ؟!

من الواضح أن هذه القدسية لا تأتي من كونها مقرونة بالقتل، فكثير من حوادث القتل لا تعدو أن تكون هلاك إنسان، وربما اقترنت أحيانا بالعار بدلا من الفَخار.

لنوضّح هذه المسألة أكثر...

موت الأشخاص ذو أنواع وأقسام.

١ـ الموت الطبيعي، الإنسان يموت بشكل طبيعي بعد أن يقضي عمره الطبيعي، ومثل هذا الموت لا ينطوي على عار ولا فَخار.. ولا يستتبعه عادة أسف عميق.

٢ - الموتُ الاختراميّ، وهو ما يحدث على أثر انتشار الأمراض الفتاكة والأوبئة أو وقوع الزلازل والسيول ونظائرها من السوانح الطبيعية.

هذا النوع من الموت لا يتضمّن عاراً ولا فخاراً أيضاً.. لكنه يقترن بالأسف عادة لأنه يؤدي إلى إتلاف الأفراد.

٣ - الموت المصحوب بعمل جنائي، حيث المقتول بريء، والقاتل

ينقضّ على فريسته إرضاء لهواه وقضاءاً على مَنْ يتصور أنه يزاحمه في مصالحه الشخصية.

مثل أنواع هذا القتل نقرأ أخبارها باستمرار على أعمدة الصحف وفي صفحات التاريخ..

فهذا رجل قتل صاحبه لمنافسة بينهما على مال أو متاع.

وهذه امرأة قتلت طفل زوجها كي تستأثر وحدها بحبّ الزوج.

وذاك الوالي أعمل السيف في رقاب أبناء وال آخر تجنباً لمنافستهم إياه في المستقبل.

وعلى مسرح مثل هذه الحوادث جانبان.. جانب يقف فيه القاتل ويداه ملطّختان بدم الجناية، وعيناه يتطاير منهما الخبث والشرر ومنظره يثير الاشمئزاز والاحتقار.. وجانب آخر يظهر فيه المقتول صريعاً مظلوماً، مهدور الدم، يُثير تجاهه عواطف الأسف والترحّم.

ومن الواضح، أن هذا النوع من الموت ـــ مع ما يتضمّنه من أسف وترحّم على القتيل ـ لا يقترن بالإعجاب والافتخار، لأن المقتول لم يكن له دور في العمليّة، بل إن عوامل الحسد والعداء والحقارة هي التي أردت هذا الإنسان قتيلاً.

٤ - الموت الجنائي، وهو ما يحدث على أثر جناية يرتكبها القتيل كالانتحار مثلاً، وهو أحطّ أنواع الموت. وأولئك الذين يُقتلون في حوادث اصطدام السيارات نتيجة ارتكابهم خطأ عمدياً، وكل الذين لاقَوا حتفهم على طريق الانحرافات يموتون بهذا النوع الجنائي.

٥ - الاستشهاد، وهو الموت الذي يتّجه نحوه القتيل تحقيقاً لهدف مقدس إنساني، أو «في سبيل الله»، على حد التعبير القرآني، مع ما يحتمله أو يظنه أو يعلمه من أخطار في طريقه.

وللشهادة ركنان:

الأول. قدسيّة الهدف، والموت على طريق تحقيق هذا الهدف المقدّس، أي أن يكون «في سبيل الله».

الثاني: أن تكون الشهادة قد تمّت عن علم ووعي.

وللشهادة وجهان:

وجه مقدّس في انتسابها للمقتول.. ووجه بشع إجرامي في انتسابها للقاتل.

الشهادة ـــ بما تحمله من صفات سامية كالوعي والاختيار وقدسيّة الهدف وخلوّها من الميول الذاتية ـــ عمل بطولي يبعث على الإعجاب والافتخار.

هذا النوع من «الموت» هو وحده الذي يفوق «الحياة» عظمة وقدسية وأهمية.

### شهادة الحسين

وهنا ينبغي أن نشير إلى ظاهرة مؤسفة تطغى على مجالس ذكر الحسين بن علي (عليه السلام).

هذه المجالس تضفي على مقتل الحسين طابع النوع الثالث من الموت، أي موت الإنسان البريء الذي ذهب دمه هدراً، مع أن هذه

المجالس تذكر الحسين على أنه «شهيد» بل «سيد الشهداء».

كثير من الموالين لآل البيت يذرفون الدموع على مظلومية سيد الشهداء، وكأنهم يبكون على طفل بريء ذهب ضحية أهواء طاغية من الطغاة.

لو كان الحسين كذلك.. لو كان مظلومًا عديم الدور في حادث مقتله، كسائر المقتولين ظلماً وعدواناً.. لما كان شهيداً، فما بالك بكونه سيد الشهداء!!

ليس من الصحيح أن نحصر الحسين في إطار الإنسان الذي ذهب ضحية أهواء الطواغيت.

نعم، الوجه الآخر لفاجعة كربلاء يمثل بشاعة القاتلين وإجرامهم واستفحال أهوائهم الدنيئة.

لكن الوجه الآخر الذي يرتبط بالحسين هو الشهادة.. أي المقاومة الواعية الذكية على طريق الهدف المقدس. فمع علم الحسين بالمصير الذي سيواجهه نتيجة مواقفه المتصلّبة رفض البيعة مع الطغاة رفضًا باتًا.. وأبى السكوت واعتبر المداهنة معصية ما بعدها معصية.

تاريخ الحسين وما سجّله في التاريخ من كلمة وعمل، أوضح دليل على ما نقول.

الشهادة تكتسب ـــ إذن ـــ قداستها من صفتها التضحوية الواعية على طريق الهدف المقدس.

# مفاهيم هامة
# في التقريب

## التسامح في المختلف فيه

يوسف القرضاوي*

**• المقصود بالتسامح هنا : ألا نتعصب لرأي ضد رأي آخر في المسائل الخلافية • إن كل ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمر قابل للاجتهاد • إذا كان من حقي أن أجتهد في فهم النصوص، أو فيما لا نص فيه، فلابد أن أعطي غيري الحق الذي لي • مما يعين على التسامح في الخلافيات واحترام الرأي الآخر، الاعتقاد بإمكان تعدد الصواب • رأينا الصحابة يقرّون أحكاماً لم تكن في عهد النبي( ص ) اقتضاها تغير الزمان .**

إذا كان التعاون في المتفق عليه واجبًا، فأوجب منه هو التسامح في المختلف فيه.

وبهذا تكتمل القاعدة الذهبية بشقيها، وهي القاعدة التي صاغها العلامة المجدد السيد محمد رشيد رضا صاحب "مجلة المنار" و "تفسير المنار : «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

وكان الإمام الشهيد حسن البنا متمسكًا بهذه القاعدة وحريصًا على الالتزام بها فكرًا، وعملاً، حتى حسب كثير من

* - داعية الاعتدال والتقريب.

تلامذته وأتباعه أنه واضعها.

والمقصود بالتسامح هنا : ألا نتعصب لرأي ضد رأي آخر في المسائل الخلافية، ولا لمذهب ضد مذهب، ولا لإمام ضد إمام، بل نرفع شعار التسامح الذي عبر عنه صاحب المنار بقوله : «يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

وهذا التسامح المنشود يقوم على جملة مبادئ، نذكر منها:

أ) احترام الرأي الآخر :

ومن الدعائم المهمة هنا لتقريب الشقة وتقليل حدة الخلاف، احترام الرأي المخالف، وتقدير وجهات نظر الآخرين، وإعطاء آرائهم الاجتهادية حقها من الاعتبار والاهتمام.

وذلك مبني على أصل مهم وهو : أن كل ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمر قابل للاجتهاد، وإذا كان يقبل الاجتهاد فهو يقبل الاختلاف.

الذي لا يقبل الاجتهاد هو "القطعيات" التي قلنا في غير موضع إنها تجسم الوحدة الفكرية والشعورية والعملية للأمة. وهي التي لا ينبغي أن نسمح بتحويلها إلى ظنيات يجادل فيها المجادلون، ويشكك المشككون، ومن المعروف أن هذه القطعيات تمثل مساحة قليلة جداً من الأحكام العملية، وجل الأحكام تقع في منطقة "الظنيات" القابلة للاجتهاد.

ولا ريب أن هذه رحمة من الله تعالى بعباده، وتوسعة عليهم، ولو

شاء سبحانه لأغلق علينا باب الاجتهاد كله بالنص على كل حكم نصًا قطعيًا لا يتحمل إلا وجهًا واحدًا ولكنه سبحانه، رحمنا ووسّع علينا، فسكت عن أشياء كثيرة لم ينص على حكمها في كتاب ولا سنة، رحمة بنا غير نسيان، فما كان ربنا نسيًا، وما نصّ عليه جعل معظمه قابلاً لتعدد الأفهام، واختلاف التفسيرات والاستنباطات، حتى يتسع للأصناف المتباينة من الناس، ما بين آخذ بظاهر النص وحرفيته، وآخذ بروحه وفحواه، وما بين مضيق متشدّد وموسّع مترخّص.

وإذا كان من حقّي أن أجتهد في فهم النصوص، أو فيما لا نص فيه، فلابد أن أعطي غيري الحق الذي لي، وإلا فما الذي يميزني عن غيري؟

وما دام من حق غيري أن يجتهد، فمن شأن الأمور الاجتهادية أن تختلف فيها، الآراء والأفهام، وإلا لم تكن اجتهادية.

سواء رأينا أن الصواب مع أحد الرأيين أو الآراء وإن لم يُعرف هو بعينه، فإن حكم الله واحدٌ في المسألة، وفّق إليه بعضهم، وإن لم نتيقّن مَنْ هو، وأخطأه غيره، وإن لم نتأكد مَنْ هو أيضاً، إلا أن الإثم مرفوع عن الجميع، بل المخطئ مأجور أيضاً على اجتهاده أجرًا واحدًا، كما صح في الحديث، فإن فاته أجر الإصابة فلم يفته أجر الاجتهاد.

وهنا أقصى ما يقوله المجتهد عن نفسه في الأحكام الجزئية،

والفروع العملية ما روي عن الإمام الشافعي، أنه قال : «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب».

وهذا الاحتمال من الجانبين (احتمال الخطأ في رأي المجتهد، واحتمال الصواب في رأي غيره) هو الذي يقرب المسافة بين الطرفين.

وهذا من إنصاف الشافعي، وسعة علمه ورحابة أفقه.

أم أخذنا بالقول الذي يرى أنّ الآراء الاجتهادية – مادامت صادرة عن أهل الاجتهاد – كلها صواب، وأن حكم الله في المسألة يمكن أن يتعدد، فيكون الصواب فيها هو ما انتهى إليه اجتهاد كل مجتهد، وهو ما نتحدث عنه في الفقرة التالية.

ب) إمكان تعدد الصواب :

مما يعين على التسامح في الخلافيات واحترام الرأي الآخر، الاعتقاد بإمكان تعدد الصواب.

وهنا سؤال يطرح ويحتاج إلى إجابة، وهو : هل يمكن أن يتعدد الصواب في الأمر الواحد، أم أن الصواب لا يكون إلا وجهاً واحداً دائمًا وأبدًا، لا يحتمل التعدد بحال؟

والجواب : أن في الأصوليين من يرى أن الصواب يتعدد في أحكام الفروع، وأن الصواب في كل مسألة ما انتهى إليه حكم المجتهد فيها، وإن اختلفت الاجتهادات. ونتائجها اختلاف تضاد، لا مجرد اختلاف تنوع، بأن رأى أحدهم حِلّ هذا الشيء والآخر حُرمته، أو

رأى أحدهم وجوبه، ورأى غيرهم عدمه.

وهؤلاء هم المعروفون في علم الأصول باسم "المصوبة" ولهم أدلتهم واعتباراتهم ولمخالفيهم أدلتهم وردودهم عليهم.

بل نُقل عن بعض علماء السلف من طرد ذلك في المسائل الاعتقادية غير الأساسية التي اختلفت فيها طوائف الأمة، لعدم وجود نصوص قطعية الثبوت والأدلة فيها، مثل أفعال العباد، وإرادة المعاصي، ونحوها، فقد نقل عن عبيد الله بن الحسن العنبري أنه قال عن المختلفين في هذه الأمور: هؤلاء قوم عظّموا الله، وهؤلاء قوم نزّهوا الله.

وهذا مقبول في المسائل الدقيقة التي حار فيها البشر من قديم، والمجتهد فيها مأجور إن شاء الله، وإن أخطأ، كما قرره ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وأما من لايرى تصويب كل المجتهدين بإطلاق، وهم جمهور علماء الأمة، وأن المجتهد قد يخطئ وقد يصيب، وهو ما تشهد له ظواهر النصوص من القرآن والسنة، وتؤيده الأدلة، فعندهم يمكن أن يتعدد الصواب أيضاً في حالات معينة. فهناك أشياء أراد الشارع نفسه أن تكون على أوجه مختلفة، وأقرها كلها ولم يقصر الصواب على وجه واحد منها.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك تعدد أوجه القراءة للقرآن الكريم، الذي ثبت عن النبي(ص) من طرق بلغت حدّ التواتر

القطعي، وغدونا نرى أثره في القراءات السبع أو العشر المعروفة، والتي يسمعها المسلمون في كل مكان ويرون اختلافها، ولا يجدون فيه أي حرج في دينهم، ومن آثارها طبع مصاحف تختلف باختلاف هذه القراءات، مثل مصاحف المشارقة المطبوعة على أساس رواية حفص عن عاصم، ومصاحف المغاربة المطبوعة على أساس رواية ورش عن نافع.

وأصل هذا ما أقرأه النبي(ص) لأصحابه، فأقرأهم على أكثر من وجه أو أكثر من حرف، حتى إن بعضهم في أول الأمر أنكر على بعض قراءاته المخالفة لما تلقاه، ثم عرفوا أنهم جميعًا مصيبون، وأن هذا أمر مقصود من النبي عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال لابن مسعود ومن خالفه : «كلاكما محسن» كما تقدم.

وهناك قضايا يمكن أن يتعدد فيها الصواب بقيود معينة. كأن يكون الصواب مع هذا المجتهد في زمان، ومع مخالفه في زمان آخر. أو أن يكون صواب المجتهد في قضية إذا نظر إلى المكان والبيئة، وإن لم يكن صواباً بالنسبة لغيره، فدار الإسلام غير دار الكفر، ودار السنة غير دار البدعة، والبادية غير الحضر.

وكذلك يكون الصواب مع المجتهد في حال معينة، ويكون مع غيره في حال أخرى. فحال الضعف غير حال القوة، وحال الاستضعاف غير حال التمكين، وحال السعة غير حال الضرورة، وحال حديث العهد بالإسلام، غير حال العريق في الإسلام الناشئ في أحضانه.

وهذا هو ما اعتمده المحققون في القول بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والعرف، وغير ذلك من موجبات التغيير.

وهي قاعدة مشهورة، وقد وفقني الله لإقامة الأدلة عليها من القرآن والسنة المشرفة، وهدي الصحابة، وعمل الأئمة، وذلك في دراستي عن "عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية"، وفي تعدد الصواب بسبب تغير الزمان، رأينا الصحابة يقرون أحكامًا لم تكن في عهد النبي(ص) اقتضاها تغير الزمان. مثل رفض عمر تقسيم سواد العراق بين الفاتحين، خلافًا لما فعله النبي(ص) في خيبر. ومثل كتابة عثمان المصاحف وجمعه الناس عليها، وإحراقه ما عداها، خشية اختلاف الكلمة. ومثل تضمين عليٍّ الصناع إذا هلك ما تحت أيديهم من متاع، على خلاف ما كان من قبل، لما تغير الناس وخيف على أموالهم، ولما سئل في ذلك قال علي(ع) : لا يصلح الناس إلا ذاك. ورأينا أصحابَ الأئمة يخالفون شيوخهم لاختلاف زمانهم عن زمن من قبلهم، وهذا ما سجله تاريخ الفقه بوضوح، كما قيل في بعض الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد : إنه اختلاف عصر وزمان وليس اختلاف حجة وبرهان.

وهو الذي جعل إماماً مثل أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة في المذهب المالكي يقتني كلباً للحراسة مخالفاً ما أثر عن مالك من كراهية ذلك. فلما لامه على مخالفته لإمام المذهب قال : لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسدًا ضاريًا.

وكذلك يتعدد الصواب باعتبار تغير المكان وتأثيره في تكوين الرأي وتحديد الحكم، وهو ما جعل الفقهاء يقررون أحكاماً لدار الإسلام، وأخرى لدار الحرب أو دار العهد، حتى أجاز أبو حنيفة التعامل بالعقود الفاسدة، ومنها الربا، خارج دار الإسلام، مادام ذلك بالتراضي، ودون غدر ولا خيانة.

وهو الذي جعل الفقهاء يقررون أن من أنكر الفرائض أو المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، يحكم عليه بالردة، إلا أن يكون ناشئاً ببادية بعيدة عن أمصار الإسلام ومواطن العلم، فيعذر لبداوته، ويعطى فرصة ليتعلم ويتفقه.

وفي تعدد الصواب، وتغير الحكم بتغير الأحوال، سواء أكانت أحوال الفرد أم أحوال الجماعة، نجد أمثلة كثيرة وأحكاماً شتى.

وهو ما جعل الرسول(ص) يعطي أجوبة مختلفة للسؤال الواحد مراعياً أحوال السائلين، كالطبيب يختلف وصفه للدواء باختلاف أحوال المرضى، وهو أيضًا ما جعله يقبل من بعض الناس ما لا يمكن أن يقبله من غيرهم، مثل موقفه من الأعرابي الذي بال في المسجد على مرأى من الناس، وهمّ الصحابة به، ورفق به رسول الله، وأمر الصحابة أن يقدروا ظروف بداوته، وأنه لم يتأدب بعد بأدب الإسلام، فقال لهم : «لا ترموه (أي لا تقطعوا عليه البول) وصبوا عليه ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسّرين، ولم تبعثوا معسّرين».

ولهذا كانت فتوى النبي(ص) في الوقائع الشخصية لا يؤخذ

منها – بالضرورة – حكم عام، لجواز أن تكون الخصوصية مراعاة فيها. ومن هنا قال الفقهاء والأصوليون : وقائع الأحوال والأعيان لا عموم لها.

كما وجدنا الصحابة ينظرون إلى هذا التغير في أحوال الناس، فيعالجونه بما يناسبه من الأحكام. وهذا سر تغير أحكامهم في قضية مثل قضية عقوبة شارب الخمر، فأبو بكر يجلد أربعين، وعمر يجلد ثمانين، حين رأى الناس تمادوا في الشرب فرأى الزيادة قي العقوبة ردعًا وزجرًا.

وقال عمر بن عبد العزيز : يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور. ورفض مبدأ الهدية له ولولاته، ولما قيل له : إن رسول الله(ص)، قبل الهدية، قال : كانت له(ص)هدية، وهي لنا رشوة! .

ومن أوضح الأمثلة التي تذكر في هذا المقام ما حكاه الإمام ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية حين مرّ بقوم من التتار في دمشق، سكارى من شرب الخمر فأنكر عليهم بعض أصحابه لاقترافهم هذا المنكر، ولكن الشيخ بنور بصيرته وسعة أفقه، وعمق فقهه القائم على الموازنة بين المصالح والمفاسد، قال لهم : في سكرهم وشربهم، فإنما حرم الله الخمر، لأنها تصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء ونهب الأموال.

وهذا هو الفقه الحقيقي الذي لا يجمد بالحكم على حالة

واحدة، بل ينظر إلى العلل والمقاصد، ويدير عليها الأحكام.

وهذا كما يقال في القضايا الفقهية، يقال في القضايا السياسية والاجتماعية أيضًا، وقضايا الإصلاح والتغيير، وما يتخذ له من وسائل وأدوات.

فقد يحسن في بلد ما المشاركة في الانتخابات، والدخول إلى المجالس النيابية محاولة للتأثير في السلطة التي أصبح بيدها التشريع والتقنين في الدول الديمقراطية، أو على الأقل، لإسماع صوت الإسلام عاليًا، وإقامة الحجة وقطع الأعذار.

على حين يكون ذلك في بلد آخر عبئًا لا طائل تحته، ولا جدوى منه، وربما كان مشاركة في تضليل الأمة عن الاستبداد الذي يحكمها ويتسلط عليها.

ج) حتمية الاختلاف في تكييف الواقع (تحقيق المناط) :

ربما يعين على التسامح فيما يختلف فيه العاملون للإسلام اليوم : أن كثيرًا من ألوان الخلاف الذي نشهده على الساحة الإسلامية، ليس خلافًا على الحكم الشرعي من حيث هو، ولكنه خلاف على تكييف الواقع الذي يترتب عليه الحكم الشرعي، وهو ما يسميه الفقهاء «تحقيق المناط».

فالجميع متفقون على أن الحاكم الذي يدع الحكم بما أنزل الله، إنكارًا ورفضًا له، أو استخفافًا به، وتفضيلاً لحكم البشر عليه، هو كافر بلا نزاع، ولا يستحق أن يكون في زمرة المسلمين، وينطبق

عليه ظاهر قوله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] دون أي حاجة إلى تأويل، بخلاف من يتركه ضعفًا، أو خضوعًا أمام القوى الأجنبية، أو حرصًا على الكرسي ... الخ.

ولكن يأتي الخلاف في أن حكام البلد الفلاني هؤلاء : هل هم من الصنف الأول أو من الصنف الآخر؟

هنا يقول البعض : إن هؤلاء رافضون جاحدون، مستخفون، فهم كفرة مرتدون مارقون.

ويقول آخرون : بل هم قوم ضعفاء مهازيل، عبيد للمناصب، ليس لديهم من قوة الدين، ولا قوة النفس، ما يجعلهم يقولون بملء أفواههم : لا.

وغيرهم يحاول أن يبرر موقفهم بأنه إملاء الضرورة، لأن الأجنبي مازال يتحكم في مقدراتهم، ونفوذه لم يبرح قائمًا، وإن جَلَتْ جيوشه، ورحلت عساكره، فهو الذي يمد بالسلاح والقوت، ويعطي القروض ويمنح المعونات.

ومثل ذلك : الموقف من تغيير المنكر بالقوة، فلا خلاف أن مَنْ ملك القدرة والاستطاعة، ولم يخش أذى ولا ضرر أحد، يعجز عن احتماله هو ومن يحمل تبعته، ولم يَخَفْ من وقوع منكر أكبر من المنكر الذي يريد تغييره، فإن له بل عليه أن يغير المنكر بيده، وإلا انتقل من اليد إلى اللسان، ثم إلى القلب وذلك أضعف الإيمان.

---

[1] . المائدة/ ٤٤.

ولكن الخلاف يظهر هنا في تحقيق هذا المناط، أعني هل بمقدور فلان، أو هذه الفئة من الناس، إزالة المنكر باليد بالشروط التي ذكرناها أم لا ؟

هنا تختلف الأنظار، وتتفاوت الأفكار.

فمن الناس من يبالغون في تقدير قوتهم الذاتية بحيث يحسبون أنهم على تغيير المنكر قادرون، لمجرد أنهم يستطيعون أن يحرقوا حانة، أو يحطموا زجاجة خمر، أو يفضّوا حفلاً ماجنًا بالعنف، غافلين عما قد يسببه ذلك من آثار وأضرار قد تكون أضعاف المنكر نفسه الذي أريد تغييره.

وفي مقابل هؤلاء قوم يغالون في تقليل حجمهم، وإظهار أنفسهم بمظهر الضعف، حتى إنهم لا ينكرون المنكر بمجرد القول واللسان.

وآخرون متوسطون بين هؤلاء وأولئك، ينظرون إلى الأمر من جميع جوانبه، ناظرين إلى ما يصيب إخوانهم وأهلهم، وما يصيب سمعة الإسلام ودعاته، موازنين بين المصالح والمفاسد، مقدّمين درء المفسدة على جلب المصلحة، يفوّتون أدنى المصلحتين، ويقبلون أهون الشرين.

شبهات :

ويقول بعضّ المخلصين المتحمسين : كيف نتعاون أو نتجمع مع المبتدعين ونغض الطرف عن بدعتهم، وقد أمرنا أن نهجرهم ولا نسلّم عليهم؟

ونقول : إن البدع مراتب وأنواع، فمنها ما يصل بصاحبه إلى درجة الكفر البواح، ومنها ما دون ذلك. ومنها ما هو متفق على بدعيته، ومنها ما هو مختلف فيه. وما يدخل في نطاق الاجتهاد، فيعذر فيه المخطئ المتأول، وقد يؤجر أجرًا واحدًا، إن كان من أهل الاجتهاد.

ومن المبتدعين من هو تابع، ومن هو متبوع داعية لبدعته، ومنهم السهل القريب، ومنهم الحاد والعنيف.

فلا ينبغي أن يعامل الجميع معاملة واحدة، وقد يكون الاقتراب من هؤلاء والتعامل معهم بالحسنى سبيلاً إلى إقناعهم بخطئهم، وتقريبهم من الصراط المستقيم.

وقد رأينا مثل الإمام البخاري يخرج في صحيحه لبعض أهل البدع، ومنهم من كان داعية لبدعته، وذلك لأنه رآهم من أهل الصدق والضبط، حتى إنه أخرج لعمران بن حطان أحد دعاة الخوارج وشعرائهم، على ما روي عنه من شعر مدح فيه ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي(ع).

على أن من القواعد المقررة شرعًا ارتكاب أخف الضررين، وأهون الشرين. ولهذا يجوز التعاون مع مبتدع ضد مبتدع أغلظ منه إبداعًا.

بل يجوز التعاون أو التحالف مع كافر ضد من هو أكفر منه، أو التعاون مع كافر حسن الرأي والمودة للمسلمين، ضد كافر ظاهر العداوة والكيد للمسلمين.

وقد حالف النبي(ص) بعد صلح الحديبية قبيلة خزاعة، ضد قريش الذين ناصبوه العداء، وشنوا عليه الغارات.

وفي قصة الحرب بين الفرس والروم التي انتصر فيها الفرس المجوس على الروم النصارى في أول الأمر، وما وقع من جدال بين المسلمين والمشركين من قريش في مكة، حول نتيجة هذا الصراع وعاقبته، إلى حد أن راهن أبو بكر على أن الروم سينتصرون، دليل على أن الكفر بعضه أهون من بعض، وأن بعض الكفار أقرب إلى المسلمين من بعض.

وهذا ما أدركه كل من المسلمين والمشركين في مكة، فقد اعتبر المشركون انتصار الفرس على الروم أمرًا يغيظ المسلمين، لأن الفرس يعبدون النار، ويقولون بإلهين اثنين : للخير والشر، بخلاف الروم فهم أهل الكتاب، وأصحاب دين سماوي...

ولا غرو أن نزل القرآن يبشر المسلمين أن الدائرة ستدور على الفرس وأن الدولة ستكون للروم.

يقول تعالى : ﴿الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[1]

---

[1]. الروم/ ١ ـ ٥.

# فتى كربلاء
# العباس بن علي( ع )

**• الفتوة تحرر من الذاتية والأنانية •أصحاب الفتوة نهضوا في الفترات العصيبة لإسعاف أمتهم • السقاؤون من سلاسل الفتوة ومنهم سعدي الشيرازي •يتشرف السقاؤون بالانتساب إلى فتى كربلاء العباس بن علي •كان العباس يسمى سقاءا ويسمى أبا قربة • العباس دخل في الوجدان الشعبي بأنه الفتى الذي قتل على طريق الوفاء بالعهد.**

الفتوة في التاريخ الإسلامي من مظاهر حياة هذه الأمة، ومن معطيات ثقافتنا التي تحفّز دائمًا على الاستنهاض والحركة على طريق الكمال الإنساني.

الفتوة خصلة فطرية في الإنسان تحفّزه على الخروج من ذاتيته وأنانيته ليسخّر نفسه في سبيل مثله الأعلى عن طريق خدمة الناس، وليقدّم التضحيات من أجل ما يحبّ ويعشق. والإنسان الراسف في أغلال ذاتيته ومتطلبات بهيميته ميّت، لأنه ليس بعاشق، وليس بحيّ، وحافظ الشيرازي يفتي بإقامة صلاة الميت عليه!!

هركه در اين حلقه زنده نيست بعشق

بر او بفتوای من نماز كنيد

أي: كل من ليس في جمعنا حيًا بالعشق

أقيموا عليه – بفتواي – صلاة الميت

وهذه الفتوى ليست طبعًا فتوى فقهية، بل هي فتوى حضارية ترى الإنسان حيًا بالعشق، أي بالحركة نحو المثل الأعلى المعشوق، ومن يفتقد هذه الحركة التكاملية فهو ميّت.

من هذا المنطلق الإحيائي نشأت سلسلة الفتوات في العالم الإسلامي، وأُلّفت حولها الكتب والرسائل والدراسات قديمًا وحديثًا، وجمع المستشرق براون عدة رسائل بالفارسية حول الفتوة تحمل اسم «فتوّت نامه» أي كتاب الفتوّة.

ويلاحظ فيها جميعًا أن أصحاب الفتوة نهضوا في الفترات العصيبة من حياة الأمة ليثبتوا رجولتهم، ولا نعني طبعًا الرجولة الجنسية، بل الرجولة الروحية، أي ليثبتوا أنهم يعيشون من أجل خدمة الناس، ويضحون براحتهم بل وبنفسهم أحيانًا في سبيل إسعاف حالة فردية أو اجتماعية في أوطانهم.

ويلاحظ في هذه الكتب أن أصحاب الفتوات متعالون على انتماءاتهم الضيقة القومية أو الطائفية. ففي السلسلة الواحدة تجد عربًا وعجمًا، وتجد سنّة وشيعة، وتجد خطابًا يجعلك تنظر إلى هذه الجماعة بأنها ارتقت إلى مستوى الملائكة!!

وتجد بين سلاسل المنتمين إلى الفتوات من العاملين في الحقول المختلفة. وأخصص الحديث هنا عن سلسلة السقائين.

هذه السلسلة كانت تحمل الماء في زمن شحّ الماء إلى المحتاجين

لتروي الظمأى، وكان في هذه السلسلة رجال كبار تشرّفوا بحمل قربة الماء وخدمة الناس ومنهم سعدي الشيرازي الشاعر الإيراني الذي أنشد بالعربية والفارسية، وقدم أروع الآثار العالمية في أثريه: گلستان = روضة العطر، وبوستان، روضة الورد.

ومن الملفت للنظر أن هؤلاء السقائين يتشرفون في انتساب سلسلتهم إلى فتى كربلاء العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) والعباس مدفون في كربلاء، وضريحه مزار للعاشقين، ويقع على بعد ٥٠٠ متر تقريبًا من ضريح أخيه الإمام الحسين بن علي(ع).

عن العباس يروي أبو مخنف في كتابه مقتل الحسين:

عن الضحاك بن قيس أن الحسين عليه السلام لما خطب خطبته على راحلته ونادى في أولها بأعلى صوته : أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني، سمع النساء كلامه هذا فصحن وبكين وارتفعت أصواتهن . فأرسل إليهن أخاه العباس وولده عليًا وقال لهما : اسكتاهنّ فلعمري ليكثرنّ بكاؤهن ، فمضيا يسكتاهن حتى إذا سكتن عاد إلى خطبته ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه. قال : فوالله ما سمعت متكلمًا قط لا قبله ولا بعده أبلغ منه منطقًا. وقال أبو جعفر وابن الأثير لما نشبت الحرب بين الفريقين تقدم عمر بن خالد ومولاه سعد ومجمع بن عبدالله وجنادة بن الحرث فشدوا مقدمين بأسيافهم على الناس، فلما وغلوا فيهم عطف عليهم الناس ، فاخذوا يحوزونهم وقَطَعوهم من

أصحابهم ، فندب الحسين عليه السلام لهم أخاه العباس ، فحمل على القوم وحده ، فضرب فيهم بسيفه حتى فرقهم عن أصحابه وخلص إليهم. فسلموا عليه فأتى بهم . ولكنهم كانوا جرحى ، فأبوا عليه أن يستنقذهم سالمين ، فعاودوا القتال وهو يدفع عنهم، حتى قتلوا في مكان واحد ، فعاد العباس إلى أخيه اخبره بخبرهم . قال أهل السير : وكان العباس ربما ركز لوائه أمام الحسين وحامى عن أصحابه أو استقى ماءا فكان يلقب السقاء ، ويكنى أبا قربة بعد قتله . قالوا : ولما رأى وحدة الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته قال لإخوته من أمه : تقدموا لاحتسبكم عند الله تعالى فانه لا وَلَد لكم، فتقدموا حتى قتلوا ، فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في القتال. فقال ( ع ) له : أنت حامل لوائي ، فقال : لقد ضاق صدري وسئمت الحياة ، فقال له الحسين ( ع ) . إن عزمت فاستسق لنا ماءًا ، فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة. قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين(ع) فرمى بها وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين؟!

ثم عاد فأخذوا عليه الطريق فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول:

لا أرهب الموت إذ الموت رقا ... حتى أُراني في المصاليت لقى

إني أنا العباس أغدو بالسقا ... ولا أهاب الموت يوم الملتقى

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السنبسي على يمينه فبراها

فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطـــعتمُ يميـــــــنـــي إنـــي أحـــامي أبـــدًا عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها ، فضم اللواء إلى صدره ( كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضم اللواء إلى صدره ) وهو يقول :

ألا تـــرون معـشـر الفـجّـار قـد قطعـوا ببغيهم يســاري

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء أبان بن دارم ، فضربه بعمود على رأسه ، فخر صريعًا إلى الأرض ، ونادى بأعلى صوته : أدركني يا أخي ، فانقضّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين ، مشكوك العين بسهم مرتثًا بالجراحة ، فوقف عليه منحنيًا وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه ثم حمل على القوم فجعل يضرب فيهم يمينًا وشمالا ، فيفرّون من بين يديه كما تفرّ المعزى إذا شد فيها الذئب وهو يقول : أين تفرون وقد قتلتم أخي . أين تفرّون وقد فتتّم عضدي . ثم عاد إلى موقفه منفردًا وكان العباس آخر من قتل من المحاربين لأعداء الحسين عليه السلام ، ولم يقتل بعده إلا الغلمان الصغار من آل أبي طالب الذين لم يحملوا السلاح. وفيه يقول الكميت بن زيد الأسدي :

وأبو الفضل إنّ ذكرهم الحلو شفـــاء النفوس في الأسقام

قتـــل الأدعيـــاء إذ قتلـــوه أكرم الشاربين صوب الغمام

ويقول حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن

عبيدالله بن العباس ( ع ):

إنـي لأذكـر للعبـاس موقفـه ... بكـربلاء وهـام القوم تختطف
يحمىالحسينويحميهعلىظمأ ... ولا يـولى ولا يثـنى فيختلف
ولا أرى مشهدًا يومًا كمشهده ... مع الحسين عليهالفضل والشرف
أكرم به مشهـدًا بانتفضيلته ... ومـا أضـاع لـه أفعاله خلف

وأقول:

أمسـندَ ذاك اللـوا صـدرَه ... وقد قُطعَتْ منه يمنى ويسرى
لثنيـت جعفـر في فعلـه ... غداة استضم اللواء منه صدرا
وأبقيـت ذكـرك في العـالمين ... يتلونه في المحاريـب ذكـرا
وأوقفت فوقك شمس الهدى ... يديـر بعينيه يمـنى ويسرى
لـئن ظـل منحنيًـا فالعـدى ... بقتلك قد كسروا منه ظهرا
والقـوا لـواه فلـف اللـواء ... ومن ذا ترى بعد يسطيع نشرا
نأى الشخصمنك وأبقىثناك ... إلى الحشـر يدلج فيه ويسرى

وأنا استرقّ جدًا من رثاء أمه فاطمة أم البنين الذي انشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل، وقد كانت تخرج إلى البقيع كل يوم ترثيه وتحمل ولده عبيدالله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، و فيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجى الندبة . قولها رضى الله عنها :

يـا مـن رأى العبـاس كـر ... علـى جمـاهير النقـد
ووراه مـن أبنـاء حيـدر ... كـل ليـث ذي لبـد
أنبئـت أن ابـني أصـيب ... برأسـه مقطـوع يـد
ويـل علـى شـبلي أمـا ... ل برأسـه ضـرب العمـد

لـــو كـــان ســـيفك في يـــد  يـــك لمـا دنـا منـه أحـد

وقولها:

لا تـــدعونّي ويـــك أم البـــنين  تـذكّريني بليـوث العـرين
كانـت بنـونٌ لـي أُدعـى بهـم  واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعـــة مثـــل نســـور الربـــى  قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنـــازع الخرصـــان أشـــلاءهم  فكلهم أمسى صريعًا طعين
يـــاليت شعرى أكَمـــا أخبروا  بـــأن عباسًا قطيعُ اليمين؟!!

(انتهى ما نقلناه من مقتل أبي مخنف)

والعباس دخل في الوجدان الشعبي بأنه ساقي عطاشى حرم الحسين، وبأنه وَعَدَ بنات أخيه أن يأتي لهنّ بالماء، وظلّ يجدّ في إيصال الماء إلى الخيام حتى بعد أن قطعت يمينه ويساره، إلى أن جاء سهم فأصاب القربة. فانهارت قوى العباس على أثر النزف في يديه وعلى أثر الجراح في بدنه والضربة على رأسه وأفظع من ذلك إراقة الماء الذي وعد بإيصاله إلى حُرَمِ رسول الله(ص). فوقع في مكانه ودُفن حيث سقط ولذلك كان مرقده على مسافة من الحسين وسائر الشهداء.

وهكذا أصبح هذا الرجل المثل الأعلى للفتوّة عامة، ولسلسلة السقائين بشكل خاص.

وما أجدر بأمتنا أن تحيي هذا المثل الأعلى في وجدانها، خاصة ونحن نعيش في عصر غياب «الشهامة» و«الرجولة» و«الفتوة»، بل وفي عصر يحاصر فيه أهل الشهامة والفتوّة، ويُرشقون بألسنة حداد ويُقتلون وتهدّم بيوتهم ظلمًا وعدوانًا.

# النماذج التربوية
# في نهضة عاشوراء

شهاب الدين الحسيني*

**• الحسين ومن معه كانوا على اتصال دائم بالله سبحانه • الحسين جسّد في خطبه مفهوم أنّ المبادئ فوق الرجال •الانتصار الحقيقي هو انتصار المبادئ • القتال ليس سوى وسيلة للهداية والإصلاح• مقاومة الطغاة مقدمة على بعض العبادات • في نهضة عاشوراء درس يقضي بالتخطيط لمواجهة العدوّ.**

**الأوّل: الارتباط بالله تعالى في كلّ المراحل والظروف**

حين تشتدّ المصائب وتتخاذل قوى الإسناد، وينظر الإنسان حواليه، فيجد نفسه مجرّدًا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، فلا جهة تحميه ولا قوّة تنجده، ومعه قوّة قليلة وفي مقابلها كثرة عديدة، جاء من أجل إنقاذها، وإذا بها تقاومه وتطارده، فلا يبقى له من ركن وحصن وإسناد إلاّ الله تعالى الذي يملك الغوث والنجدة، فيلتجئ إليه في مثل هذه الأوضاع ليمنحه الأمن والقوّة والثبات، هذا هو أهمّ الدروس التربوية التي سطّرتها النهضة الحسينية، فالحسين(ع) ومن معه لم ينقطع اتصالهم بالله تعالى في جميع الأحوال والظروف، واستسلموا له تمام الاستسلام.

ففي وصيّته (ع) يشرح أهداف ثورته ثمّ يقول: «ومن يردّ عليّ

---

* - باحث إيراني.

هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم.. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

وحينما اقترح عليه ابن عباس بالتوجّه إلى غير العراق قال له: «فإنّي أستخير الله وأنظر ما يكون».

وحينما أراد الجيش الأموي الهجوم عليه قبل يوم عاشوراء قال لأخيه العبّاس: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة لعلّنا نصلّي لربّنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره».

وفي وسط الميدان وقد أثخنته الجراح كان يردّد: «بسم الله وعلى ملّة رسول الله... هوَّنَ عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله».

وفي أشدّ ظروف المعركة كان يدعو: «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته وكفيتنيه فأنت وليّ كلّ نعمة...».

### الثاني: تقديم المبادئ على الرجال

أراد الحسين أن يبيّن للأمّة أن المبادئ الإسلامية فوق الرجال والشخصيات، وأنّ القائد والإمام ليس له من الأمر شيء. فلابدّ للأمّة أن ترتبط بالمبادئ أولاً، ثمّ ترتبط بمن يكون سلوكه مصداقاً لتلك المبادئ؛ فالمبادئ ثابتة والرجال يقتربون ويبتعدون منها، فقدّم الحسين المبادئ على نفسه وإن كان إمامًا وابن بنت

رسول الله(ع) وجعل الحقّ فوق نفسه فقال: «فمن قَبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق».

والعبّاس يقدّم المبادئ على القيادة فيقول:

والله إن قطعـــــتمُ يمـــــيني إنّي أحامي أبدًا عن ديني

وعن إمـــام صـــادق اليقيـــــن نجل النبيّ الطاهر الأميـن

وحينما تتقدّم المبادئ على الرجال وتكون مقياسًا للانتماء والارتباط، لا يستطيع الرجال أو القادة أن يحرفوا الأمّة عن تلك المبادئ أو يوجّهوها حسب أهوائهم، كما حدث في التاريخ.

### الثالث: تشخيص مصداق الإمامة

شخّص الحسين(ع) مصداق الإمامة ومن يكون له حقّ التصدّي لإمامة الأمة؛ فهو الشخص المحكوم بالإسلام ومبادئه، وليس كلّ مـــن يصـــل إلى دفّـــة الحكـــم وإن لم يكـــن أهـــلاً لهـــا. فيقـــول(ع): «..فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق».

فيزيد، وكل من سار على نهجه ممّن لم يكن سلوكه وسيرته مطابقًـــا للمبـــادئ الإســـلامية، لـــيس لـــه حـــقّ الطاعـــة، ولا يجـــوز الانقياد له إلاّ في الحدود التي فيها مصلحة إسلامية كبرى. من أجل أن لا تتوزّع الولاءات على شخصيات عديدة.

### الرابع: الانتصار الحقيقي هو انتصار القيم الإسلامية

إنّ الانتصار الحقيقي هو انتصار القيم الإسلامية وتقريرها في

واقع الحياة لتكون الأفكار والعواطف والسلوك الاجتماعي والسياسي منسجمة مع المنهاج الإسلامي وقيمه، ولا قيمة ولا وزن للانتصار العسكري والسياسي إذا لم يكن قائمًا على أساس ذلك المنهاج وتلك القيم، فقد يكون النصر العسكري أحيانًا وبالاً على الأمة، لأنّه لا يمتّ إلى مبادئ الإسلام وقيمه بصلة؛ وقد أوضحت نهضة عاشوراء هذه الحقيقة في كلام الحسين مع بني هاشم «أمّا بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح».

والإمام علي بن الحسين(ع)وهو قائد المرحلة الثانية من النهضة الحسينية يجيب على هذه الحقيقة، حينما سأله إبراهيم بن طلحة. قال: من الغالب؟ قال(ع): «إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب».

فالانتصار الحقيقي كما يوضحّه الإمام هو انتصار مبادئ الإسلام وقيمه وعدم قدرة الطغاة على طمسها.

### الخامس: رفض الذلّ وعدم الخضوع للطغاة

درس تربوي من النهضة الحسينية هو الدعوة إلى تحقيق الحياة الكريمة وإن كانت باهضة الثمن، بتقديم النفس إلى القتل والإبادة، وأنّ الخضوع للطغاة يعني استمرارهم في طمس معالم المنهاج الإسلامي في الحياة وإنهاء القيم الإسلامية، وطغيان الطغاة لا يتمّ إلا حينما يجد الطاغية خضوعًا واستسلامًا؛ والحسين أعطانا أبلغ الدروس في إيقاف حركة الطغاة وتحجيمها

برفض الخضوع لهم والاستسلام لمخططاتهم.

ففي جواب الحسين(ع) لابن الأشعث حينما أراد منه بيعة يزيد قال: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد».

وقال: «ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة».

وقال: «... فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ بَرَما».

وفي ساحة المعركة يقول علي الأكبر: «والله لا يحكم فينا ابن الدّعي».

والعبّاس وإخوته رفضوا الأمان الذي تقدّم به «الشمر» وآثروا الموت بعزّة على الحياة بذل.

ويخاطب الإمام عليّ بن الحسين ابن زياد حينما هدّده بالقتل: «أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد!! أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة».

## السادس: عدم قطع الولاية بين المسلمين

الولاية بين المسلمين ثابتة، فبعضهم أولياء بعض؛ وكان الحسين – ومن سار على نهجه – قبل عاشوراء لم يقطع الولاية بينه وبين غيره من المسلمين. اشترك في الفتوحات التي كانت في عهد عثمان ومعاوية، وكذلك أتباعه، فإن أغلبهم شارك في الفتوحات، ولكن في يوم عاشوراء انقطعت الولاية بينه وبين

الجيش الأموي حينما أقدم على قتل الحسين، فالولاية ثابتة لا تنقطع إلا بالارتداد أو القتال.

وقد أكدّ زهير بن القين هذا المفهوم في خطابه لأهل الكوفة والجيش الأموي حينما قال: «حقّا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أمّة وأنتم أمة».

فلم تنقطع الولاية إلاّ بعد القتال، وقبله كانت الولاية ثابتة، حتى إنّ بعض أبناء أصحاب الحسين كانوا في الجيش الذي يقاتل في الثغور؛ وأهم درس تربوي هو بقاء الولاية بين أتباع أهل البيت وأتباع خصومهم في حدود النصرة والدفاع عن الإسلام وعدم الاعتداء.

### السابع: إلقاء الحجّة قبل القتال

الإسلام دين الهداية والإصلاح، ولم يكن القتال إلاّ وسيلة للهداية والإصلاح حينما تستنفد جميع الوسائل السليمة، فيجب على المسلمين أن يبذلوا النصيحة لأعدائهم أو خصومهم قبل بدء القتال، كما فعله الحسين وأصحابه، فقد ألقوا الحجّة على أفراد الجبهة المقابلة طمعًا في هدايتهم، وقد برز ذلك من خلال الخطابات التي وجّهوها للجيش الأموي الفاقد لإرادته والمسيّر من قبل الطغاة.

### الثامن: مسؤولية الجميع في الدفاع عن الإسلام

حينما حفّت المخاطر بالإسلام، اندفع الحسين للتضحية، فقدّم كلّ عزيز وغال من أجل الإسلام، وضمّ في نهضته جميع الأصناف، الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحرّ، والتركي والرومي والحبشي، فلا عذر لأحد لو داهم الإسلام خطر كخطر يزيد بن معاوية الذي كان هدفه طمس معالم الإسلام كما تخاطبه زينب(ع) قائلة:« فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا».

وإماتة الوحي تبدأ بتغيير المفاهيم الإسلامية وحرف الأمّة عن المنهاج الإسلامي وإن بقيت المظاهر إسلامية.

### التاسع: مقاومة الطغاة أهم من بعض العبادات

الإسلام عبادته سياسة وسياسته عبادة، ولا فصل بينهما، ولذا نجد الحسين(ع) لم يتمّ مناسك الحجّ لأنّ هنالك ماهو أوجب من الحج، وهو كشف زيف الطغاة ومحاولة إنقاذ الأمّة منهم ومن مخططاتهم الرامية إلى إبعاد الأمة عن مسارها الذي رسمه لها الإسلام، فلا ينفع الحجّ ولا يحقّق أهدافه إن كان الحاكم منحرفًا عن الإسلام، وإنّ الحج إن لم يكن مؤثّراً في إيقاف الطغيان لا يكون ذا أهمّية، ويفقد محتواه الحقيقي، فترك الإمام(ع) الوقوف بعرفة في وقت اجتمع فيه المسلمون هناك.

**العاشر: التخطيط للمعركة**

الإمام الحسين(ع) وان كان متيقّنًا بالقتل ولكنّه لم يترك الأسباب الطبيعية للمقاومة والتهيؤ للقتال ومنها التخطيط، فقسم جيشه الصغير إلى ميمنة وميسرة وقلب، وحفر خندقًا حول الخيام لئلا يباغته العدو بعد أن أضرم فيها النيران، فالنهضة الحسينية تعطينا درسًا تربويًا ضروريًا في التخطيط لمجابهة أعداء الإسلام.

**الحادي عشر: طاعة القيادة**

القيادة الإسلامية واجبة الطاعة في كلّ شيء مادامت مرتبطة بالإسلام وسائرة على هديه، فالقائد الربّاني دائمًا يكون أكثر وعيًا وإدراكًا من غيره؛ والواجب العودة إليه في كلّ عمل وموقف يراد إنجازه؛ وهذا ما نلاحظه في عاشوراء، فالجميع استسلموا للقيادة في حركتهم ومسيرتهم وقتالهم وتوقفهم؛ فعلى المسلمين الاستفادة من هذا الدرس التربوي في طاعة ولي الأمر الإمام الخامنئي الذي هو امتداد للحسين وللإمام الخميني(قدس)، إذ لولا الرعاية الإلهية وطاعة الأمة لم يستطع أن ينتصر على أميركا وعميلها الشاه.

# واجب جميع المسلمين
# تجاه ذكرى الحسين( ع )

الصادق سلايمية*

**• أعظم انجازات المصلحين تحريك آليات التقارب •الأفكار المنتنة المفرّقة لا يحبذها إلاّ من شبّ على ذلك النتن •السلطات الظالمة الغاشمة حين تقضي على معارضيها تقيم الأفراح• لقد أمر الله نبيّه أن لا يقبل من المسلمين أي أجر إلاّ مودّة قرباه • ليس من المودّة الاحتفال في يوم قتل ريحانة رسول الله.**

من أعظم الانجازات التي يقوم بها المصلحون والدعاة والمفكرون، وكل من له شأن ومكانة بين قومه، هي تحريك آليات التقارب في النفس والعقل بين المسلمين، لأن الأصل فيهم الوحدة التي تصبح أكثر من فريضة أمام التحديات التي تفرضها وحدة الآخرين مع إيجاد سبل التقارب بيننا وبين الآخرين المتحدين أنفسهم لتفادي الصدام المفضي إلى الحروب وسفك الدماء.

وإذا أنجز الإنسان شيئًا من هذا القبيل في قومه كبر في أعينهم وقدموه وفضلوه على من سواه من الناس وإن كانوا أكثر منه في جانب المال والجاه.

---

* - كاتب جزائري مهتم بأمر وحدة الأمة.

نعم حفظت قريش لمحمد بن عبدالله عليه وعلى آله الصلاة والسلام مزية ذلك التقارب وتلك الألفة بينهم، وقد كانوا على وشك الاقتتال حين أشار عليهم بالمشاركة الجمعية في حمل الحجر الأسود بدل أن تنفرد بحمله قبيلة واحدة، وذلك بوضعه في محمل ثم حمله من طرف الجميع إلى مكانه المعهود.

ولذلك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأنهم مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأن خيرهم مَنْ يجمع لا مَنْ يفرق، وكفى بقوله بعد تلك الحادثة التي كادت أن تشعل فتيل الحرب بالمدينة المنورة بين المسلمين من قبل الذين تحركهم نوازع النعرات والعصبيات «دعوها إنها منتنة» دليلا على ما أقول.

إن الأفكار المنتنة المفرقة لا يحبذها إلا طراز من الخلق شبّ على ذلك النتن وتربّى عليه كالجعلان والذباب وبنات وردان وما شابهها من الجرذان؛ أما المؤمنون فهم كالنحل لا يوجَدون حيث يوجد النتن ولا شيء أسرع منهم إلى حيث يوجد الطيب: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٨/٦٩).

وصل الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام إلى المدينة فوضع ذلك الدستور الجامع بين المسلمين وغير المسلمين ومنهم اليهود حين كانت البشرية يومئذ لا تعرف للتعايش السلمي أي معنى

إذا وقع الاختلاف في الاعتقاد وفي السلالات.

وما أريد الإشارة إليه بالذات في هذا الموضوع هو إيجاد جو للتراضي والتقارب والالتقاء بين السنة والشيعة في ما يتعلق بكيفية الاحتفال بيوم عاشوراء، فبينما هو عند الشيعة نواح ولطم للخدود، وضرب مبرح بالسلاسل للأجساد، تعبيرًا[1] عن ذلك الندم على عدم نصرة الحسين وصحبه عليهم الرضوان، وتركه لقمة سائغة لأذناب يزيد، هو في المقابل عند السنة يوم للترويح عن النفس بعد صيام ذلك اليوم بأشهى المأكولات والمشروبات، مع إيقاد الشموع، ودق الطبول، ونفخ المزامير، ومنهم من يجعله والعيد الأضحى سواء تذبح فيه الكباش والأبقار والجمال.[2]

وإذا كان السنة يتساءلون باستغراب وهم يرون تلك الطقوس الدموية في يوم عاشوراء: ما هذا؟ ألا يجب وضع حد لهذه البدع والخرافات؟ أليس من الإنصاف أيضا أن نقول عن طقوسنا الاحتفالية: ما هذا؟ أيمكن أن يشاطرنا الرسول عليه وعلى آله

---

١ - لا يفعل الشيعة ذلك تعبيرًا عن الندم! بل هو تعبير عن حزنهم لما نزل بآل بيت النبوّة. وهذا التعبير عن الحزن يقوم أساسًا على عاطفة رسالية إنسانية، هي نفس العاطفة التي أبداها المسلمون بأمر رسول الله تجاه شهادة حمزة (رضي الله عنه وأرضاه)، كما جاء في هذا المقال، ولكنّ شعائر العزاء والحزن هذه شابها على مرّ التاريخ ما يتعارض مع السنّة، ولذلك أصدر الإمام الخامنئي في إيران أمرًا ولائيًا وشرعيًا بمنع ممارسة أي عمل يتعارض مع السنّة، ويبقى الأمر متوقفًا في هذا الأمر على درجة وعي الأمة.

٢ - ليس هذا من فعل أهل السنة بأجمعهم، بل هي عادة بعضهم توارثوها، دون أن يكون قصدهم فيها الابتهاج بمقتل الحسين.

الصلاة والسلام لو كان حيًا بين أظهرنا هذا الاحتفال وهذا الابتهاج في يوم قتل قرة عينيه الحسين الذي قال عنه أنه ريحانته في الجنان؟!!

عندما تقضي السلطات الظالمة الغاشمة على أكبر معارضيها الذين كانوا يشكلون عليها أكبر الأخطار، فإنها تعلن أجواء الاحتفال بقتله كما حدث ويحدث في التاريخ دائما بين السلطات والمعارضين محاولة جعل ذلك اليوم عيدًا وطنيًا كعيدي الثورة عندنا والاستقلال، ويسري ذلك الاحتفال في النفوس بتقادم الزمن، والأخطر من ذلك أن ترتبط أجواء تلك الاحتفالات بالدين نفسه، إذ تصبح جزءًا لا يتجزأ من الإسلام!!

العيد في الإسلام لا يجوز الصوم فيه، ومن صام فيه فقد عصى الله ورسوله كما جاء في الحديث الشريف، وهو ما يدل على أن يوم عاشوراء، ليس يوم عيد، وليس فيه ما يدعو إلى إشاعة الأجواء الابتهاجية التي جُبل عليها العوام، وإن وضع حدّ لهذه الاحتفالات مع تذكير الناس في هذا اليوم بما حدث لآل بيت الرسول الذين بأهَلَ بهم باتفاق أهل السنة والشيعة أولئك النصارى وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، تعتبر خطوة عملية جادة للتقارب بيننا من ناحية، ولوضع حد لتلك الطقوس الدموية من ناحية أخرى، إذ يخيّم الحزن والأسى حقيقة في هذا اليوم على النفوس دون تلك الطقوس.

أما أن يصرّ أهل السنة على ذبح الكباش والجمال والشراب

وإعلان أجواء الاحتفال في كل مكان، فإن الطرف الآخر كذلك يصرّ على إشاعة أجواء الأتراح والأحزان وتعذيب الأبدان كندم على تفريط كان.

أي إن أجواء المتناقضات بين الطرفين هي التي تسود، إذ لا يعقل أن أقابل جاري بل أخي الذي يعلن الأفراح في يوم قتل فلذة كبدي بأفراح مثلها، بل بشق الجيوب ولطم الخدود، وكأن ابني هو بين يدّي قتيل الآن إذا كنت ممن يفكرون تفكير العوام!!!

لقد أمر الله نبيه بألا يقبل أي أجرة مقابل الإسلام الذي أشاعه فينا وأخرجنا من الظلمات إلى النور، ولكنه حصر تلك الأجرة فقط في مودة المسلمين لآل بيت الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فقال: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

فهل من المودة وهل مما تقرّ به عين الرسول صلى الله عليه وسلم في قبره الطهور وأعمالنا تُعرض عليه -كما ثبت في الصحيحين -أن نحتفل في يوم قتل ريحانته في الجنة الإمام الحسين؟! وهو الذي قال حين عاد من غزوة أحد ووجد النساء يبكين قتلاهن من الآباء والأبناء والإخوة والأزواج:

«إلا حمزة لا بواكي عليه»

فاجتمعت على إثر هذه الكلمة نساء المهاجرين والأنصار، وبكينه بكاء الثكالى المفجَعات، لإبكاء المستأجَرات، إرضاء لحاجة في نفسه عليه الصلاة والسلام.

# الحسين واستعادة العزّة

**• الإنسان يتجه بفطرته إلى العزّة ولكنه قد يتجه إلى عزّة سرابية •كل محاور التشريع الإسلامي تستهدف تحقيق عزّة الإنسان •أكثر ما شهده المجتمع المسلم في التاريخ من محن يعود إلى غياب العزّة • لا يحقّ للإنسان أن يذلّ نفسه • تعرضت عزّة المجتمع الإسلامي للخطر في العصر الأموي • كل آل بيت رسول الله اتجهوا في نشاطاتهم المختلفة إلى استعادة عزّة المجتمع الإسلامي • الحسين رائد عودة العزّة إلى المجتمع الذي أريد له أن يُذلّ.**

## العزّة والذلّ

العزّ في اللغة هو القوّة والشدّة والغلبة.

والعزّ والعزّة: الرفعة والامتناع.

والعزيز من صفات الله عزوجل وأسمائه الحسنى. قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء. ومن أسمائه عزوجل: المعز، وهو الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده، والعزّ خلاف الذلّ.

والإنسان بفطرته يتجه إلى الله سبحانه، أي يتّجه إلى اكتساب صفات الكمال الإلهيّة، ومنها العزّة، ولكنه قد تصدّه عوامل عديدة عن هذه الحركة فيقع في حالة الذل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾. ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾.

وقد يتحرّك تحركًا منحرفًا فيتّجه نحو عزّة ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء﴾. يرى هذه العزة مجسدة – مثلاً – في طواغيت الأرض: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا﴾.

والدعوة الإلهية تتّجه أول ما تتّجه إلى محاربة كل العوامل الّتي تصدّ الإنسان عن التحرّك نحو كماله، وتنتشله من حالة الذلّ، ثم توجّهه إلى المصدر الحقيقي لعزّته كي لا يلجأ إلى مصادر سرابية كاذبة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وشدّدت السنة على ضرورة صيانة عزّة الإنسان المسلم وحرمة إذلاله. يقول الإمام الصادق(ع): «إن الله فوّض إلى المؤمن أمره كلّه، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله عزّ وجل يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلاً، ثم قال: إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، إنّ الجبل يُستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يُستقل من دينه شيء».

ويُلاحظ أنّ المحور الأساس في جميع أبعاد التشريع الإسلامي، الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، تدور حول محور صيانة عزّة الإنسان وإبعاده عن حالة الذلّ. ونقف ولو قليلاً عند معنى

العزّة لنبيّن موقعها من الفرد والمجتمع، ومدى إسهامها في البناء والحركة، ثمّ نلقي الضوء في مقابل ذلك على أخطار الذلّ في المجتمع.

إذ تأملنا في المعنى اللغوي والاصطلاحي – كما ورد في القرآن وسائر النصوص – لكلمة العزّة، وجدنا أنّها حالة نفسية تجعل الإنسان نفسه مسنوداً ومدعوماً من قوّة كبيرة خارج ذاته؛ والإنسان المؤمن يجد في ارتباطه بالله عزًا يوفّر له الثقة بنفسه، وينمّي فيه الإحساس بالكرامة وعلوّ الشخصية، فيترفّع عن التوافه، ويصون نفسه من الانزلاق في الشهوات وبتعد عن كلّ ما يمسّ منزلته؛ وتأتي كلّ تشريعات الإسلام لتوفّر للفرد المسلم تعميق هذا الإحساس بنفسه، وصيانته من كل مسّ وحطّ. وكان هذا الإحساس بالعزّة – في الواقع – وراء كل ما شهده المجتمع الإسلامي من حركة جهادية وعلمية، ووراء كل تطوّر أصيل في عصور التاريخ الإسلامي في حقل الهدم والبناء والمعرفة.

ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إنّ أكثر ما شهده المجتمع الإسلامي من نكسات وانحرافات واضطرابات وفتن، يعود إلى غياب العزّة الإسلامية وظهور حالة الذلّ في المجتمع؛ وذلك لما يلي:

١ – الذليل صغير في كلّ ما يصدر عنه من موقف وسلوك ونظرة، وهو لذلك ينظر إلى الأشياء الصغيرة على أنها كبيرة، ويُبتلى بالأمور التافهة التي تشغله عن الأمور الكبيرة.

٢ -الذليل لا يستقيم على موقف صادر عن شخصيته الفكرية وقناعاته الذاتية، لأنه يفتقد الشخصية، ولذلك يكون آلة طيّعة بيد من يفتعل الأجواء، ويلوّح بأنه يمتلك مصير الناس.

٣ -عقدة الذلّ تدفع بالذليل لأن يبحث عن شخصيته في أمور موهومة غالبًا، يتصور الذليل أنّه يستعيد شخصيته بها، وهذه الأمور لها طابع انحرافي غالبًا، وتبعث على الشرور الاجتماعية المختلفة؛ ولذلك تستطيع عصابات الأشرار أن تستغلّ هؤلاء الأفراد أكثر من غيرهم لتنفيذ مآربها الشريرة.

٤ -الذليل يفتقد توازن الشخصية في نفسه، ويفتقد الإرادة وقدرة الضبط والسيطرة، ولذلك تثور عنده الشهوات المادية وتستفحل، ويصبح هذا الشخص عرضة للانغماس في الشهوات ويؤدّي إلى أخطار بيّنة.

## مظاهر اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان وعزته

١ – ما نجده في السنة من تأكيد على حرمة النطفة والجنين، وعلى اهتمام بالمرأة الحامل، وعلى سلامة طعامها وسلوكها، بل على سلامة محيطها الاجتماعي، وكل ما من شأنه أن يؤثّر على سلامة تكوين الجنين، إنما يشكّل دلالات هامّة على اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان، منذ انعقاد نطفته وفي كلّ مراحل نموّه الجنينية.

٢ -نرى في السنة اهتمامًا بالغًا بكرامة الطفل واحترامه ومعاملته بالحسنى، وتركيزًا على تنفيذ طلباته ورغباته وملاعبته، مما يدل بوضوح على أن الإسلام يهتم بأن ينشأ الطفل عزيزًا كريمًا.

٣ -في السنّة أيضًا تركيز على ضرورة الاهتمام بشخصية الشاب، واحترام رأيه، واستشارته في الأمور؛ لكي ينشأ هذا الشاب معتمداً على نفسه، محترمًا لشخصيته، مهتمًا بالجانب العقلي والإرادي من كيانه.

٤ -اهتمام السنّة بحرمة الميت وكرامته، وتقرير التعاليم الخاصّة بتجهيزه ودفنه وذكره بخير وزيارة قبره، كلّ ذلك أيضاً تأكيد لحرمة الإنسان وكرامته حتى بعد وفاته.

٥ -تؤكّد النصوص الإسلامية حرمة الخضوع للظالمين من أصحاب السلطة، وعدم الانخراط في سلك خدمتهم، والترفّع عن الشعور بالضعف أمام بطشهم.

٦ -المنهج الإسلامي للسلوك يأبى على الإنسان المسلم أن يحسّ بالضعف أمام أصحاب المال، وتدعوه لأن يترفّع عن الانقياد لهم، بل عن معاشرتهم لكي لا يشعر بالضعة بينهم.

٧ - في النصوص الصحيحة الموثّقة تأكيد على منع الإنسان المسلم أن يذلّ نفسه لأي سبب من الأسباب، بل تسقط الواجبات إذا استدعى أداؤها أن يذلّ الإنسان نفسه.

٨ -اهتمام الإسلام بضبط شهوات البطن والفرج لا تخفى شدته على أحد، وهذا الاهتمام يستهدف تنمية إرادة الإنسان وشخصيته كي لا تسيطر عليه هذه الشهوات وتستذلّه.

٩ -«التصوّر الإسلامي» يركّز - أول ما يركّز- على ربط الإنسان بربّ العالمين، ويُدخله في تعامل مباشر مع خالق هذا الوجود؛ وهذا الارتباط — إن استشعره الإنسان بكلّ وجوده — يبعث فيه إحساسًا بالعزة والكرامة، ويجعله يشعر بأنه مرتبط ارتباطاً مباشرًا بمن يملك كلّ مقادير أموره وأمور كلّ الناس.

١٠ -القرآن الكريم يربط تاريخ الفرد المسلم والجماعة المسلمة بتاريخ الأنبياء والصالحين، ومن هنا فإنّ الإنسان المسلم يرى أن تحرّكه استمرار لمسيرة طويلة سار عليها من قبل كلّ عباد الله الصالحين؛ وهو إحساس ينمّي مسيرته الحيوية ويباركها ويضفي عليها عراقة وبُعدًا واسعًا ضاربًا في أعماق التاريخ، ويشعر بعد ذلك بكرامته وأهميته على هذه الساحة التاريخية ذات الآماد البعيدة.

١١ -يصوّر الإسلام للإنسان أنه خُلق ليكون سيد الكون، وخليفة الله على أرضه، وأن كلّ شيء في هذا الوجود الرحب قد خُلق من أجله، ومن أجل تمهيد الطريق لمسيرته التكامليّة في حياته؛ وهو ما يبعد الإنسان عن أي شعور بالضعف أمام هذا الكون الفسيح، ويشعره بالكرامة أمام جميع المخلوقات.

١٢ -الإنسان المسلم في التصور الإسلامي مسؤول عن هداية البشرية، وعن تبديد ظلامها، وإزالة العقبات عن طريق كمالها، وهو تصوّر يجعل الإنسان المسلم في مكانة القيادة والريادة على ظهر الأرض، ولا يخفى ما لهذا التصوّر من أثر في الشعور بالعزّة والكرامة في نفس الفرد المسلم والجماعة المسلمة.

١٣ -وضع الإسلام منهجًا متكاملاً لسلوك الحكم والحاكم في المجتمع الإسلامي، يحسّ فيه الفرد المسلم بأنه هو صاحب الرأي في قبول الحاكم أو ردّه، كما أن هذا المنهج يمنع استخدام الحكم آلة للظلم والسيطرة على مقدّرات الناس،وهو جوّ سياسي يوفّر كرامة المسلم، ويصون شخصيته، ويحافظ على إحساسه بالعزّة في تعامله مع النظام الحاكم.

١٤ -تقرير منهج المساواة والعدالة في التعامل، وتقرير مقياس التقوى للتكريم في الإسلام، يصونان المجتمع من أي لون من ألوان التمييز بسبب الجنس أو اللون أو اللغة، ويشعر الفرد المسلم بكرامته وعزته لا بنَسبه وحَسَبه وانتمائه القَبَلي أو القومي، بل بمقدار سموّه في سلّمه التكاملي، أي بتقواه على حدّ التعبير القرآني؛ وهذا المعيار يزيل كلّ إحساس بالضّعة والذلّ بسبب وضاعة النسب أو الانتماء القبلي.

١٥ -حرص الإسلام على العدالة الاقتصادية في توزيع الثروة من جهة، ونفي أية سلطة لقوّة المال في المجتمع، من أجل القضاء

على التمييز الطبقي والاستضعاف الاقتصادي، صيانةً لكل فرد من أفراد المجتمع من أن يُستذلّ أو يستشعر الذلّ بسبب واقع اقتصادي غير متوازن في المجتمع؛ كما أن تأكيد الإسلام على تأمين احتياجات الفرد الضرورية، حتّى لو استدعى الأمر إعطاءه من بيت المال، إنما هو حفظ لكرامة الفرد وعزّته وإبعاده عن إراقة ماء الوجه بالسؤال. والرائع في الأمر أنّ هذه الرعاية تشمل حتّى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

١٦ -حرمة النفس وحرمة العرض وحرمة المال أهمّ الحرمات التي أكّد عليها الإسلام، وشدّد على القضاء الإسلامي لصيانتها وحفظها والدفاع عنها، كما ألزم كلّ أفراد المجتمع برعايتها بدقّة متناهية، والاحتياط الشديد في مراعاتها؛ كلّ ذلك لكي يعيش الإنسان المسلم في مأمن من أيّ تهديد لمقوّمات كرامته وعزّته وشخصيّته.

١٧ -أكد الإسلام على العبادات الجماعية، وركّز على ضرورة إظهار قوّة المسلمين وتراصّ صفوفهم ووحدة عزمهم وإرادتهم، وانسجام تحركهم لإبراز عزتهم وإظهار كرامتهم أمام أنفسهم وأمام أعدائهم.

١٨ -نفي سبيل المشركين على المسلمين أصلّ من الأصول الإسلامية، وهو يفرض على كلّ المسلمين العملَ لسدّ أية ثغرة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عمليّة، ينفذ منها أعداء

الإسلام لكي يجدوا لهم موضع قدم في المجتمع الإسلامي؛ وهذا الأصل وحده، لو التزم به المسلمون، لتحقّقت كرامتهم وعزّتهم على الساحة الدوليّة. ونفي السبيل طبعًا يعني نفي السيطرة لا نفي التعامل والاستفادة من الآخرين.

١٩ -مبدأ الجهاد يخلق في نفس الأمّة المسلمة روحًا ترفض الإخلاد إلى الأرض والرضا بالظلم والعدوان، والتهاون في الدفاع عن الكرامة والمقدسات، وتأبى الذلّ والخنوع والاستكانة، وتدفع الإنسان المسلم لأن يطلب عزته وعزة أمته ودينه وعزّة المستضعفين في الأرض ببذل الغالي والنفيس.

٢٠ -حثُّ الإسلام على الانتماء إلى الجماعة وعدم الخروج عنها وعدم الشذوذ عن مسيرتها، يخلق في نفس الإنسان المسلم عزَّة الانتماء إلى الجماعة المؤمنة، ويجعله يحسّ بالقوّة والفخر بهذا الانتماء.

٢١ -الحثّ على طلب العلم والتدبّر في الكون وفي المخلوقات وفي الأمم والشعوب، تخلق من الإنسان المسلم كائنًا ناضجًا يحترم شخصيته وفكره، ويقوّم الأفراد على أساس ما عندهم من علم إضافة إلى التقوى. والاعتزاز بالعلم والعلماء يجعل المسلم يبحث عن عزته وكرامته في تنمية شخصيته العلمية والفكرية؛ وبذلك تظهر الأمّة العالمة المفكّرة، ولا يخفي ما لمثل هذه الأمّة من عزّة وكرامة بين الأمم.

٢٢ -حرمة اغتيال شخصية الإنسان المسلم عن طريق اغتيابه واتهامه وإهانته أمر أكّد عليه الإسلام كثيرًا جدًا؛ كلّ هذا لكي يأمن المسلم من عدوان يستهدف عزّته وكرامته وماء وجهه في المجتمع.

٢٣ -النصوص الإسلامية الكثيرة التي تحذّر الإنسان المسلم والجماعة المسلمة من التفرقة والشقاق والنفاق، إنما تتّجه كلّها لصيانة عزّة المسلمين وكرامتهم من أن تتصدّع، وشوكتهم من أن تلين.

٢٤ -حرمة التشبّه بالكفّار أصل يحافظ على الهوية الثقافية للأمة، ويخلق روح الاعتزاز بهذه الهوية والشعور بالاستعلاء النفسي أمام الثقافات الأخرى.

٢٥ -التحذير الشديد من الحرص والطمع في المال والمتاع والشهرة والسلطة، يصون المسلم من أن يستذلّه الطمع، ويتنازل عن عزته لتحقيق رغبة جامحة في النفس نحو الاستزادة.

٢٦ -مبدأ نيل إحدى الحُسنيين يصون المجتمع المسلم من أيّ ضعف وخور وهوان، حينما تضطرّه الظروف لأن يتراجع وينهزم أمام الأعداء، فهو مجتمع منتصر إن غَلب أو غُلب، والفرد منتصر إن قَتل أو قُتل؛ فالمسلمون هم الأعلَون على كلّ حال.

٢٧ -مبدأ إعداد القوّة مبدأ إسلامي مهمّ يجعل المسلمين مرهوبي الجانب، أعزّة على ظهور الأرض، ويقتلع من رؤوس

الأعداء كلّ فكر يساورهم للمسّ من عزّة المسلمين وكرامتهم.

٢٨ -مبدأ الرسالة الخاتمة يخلق في المسلمين إحساسًا بأنهم مسؤولون عن خلافة الله في الأرض، وعن اعتلاء دورهم الشاهد والوسط على ظهر البسيطة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي مسؤوليّة مقرونة بالعزّة والكرامة.

٢٩ - مبدأ قيام الدولة الإسلامية العالمية بقيادة المهدي المنتظر(ع) يجعل المسلمين ينتظرون تحقّق هدف دينهم على أوسع نطاق في مستقبل أيام البشرية، حين تذعن كلّ الشعوب لأحقّية الإسلام وتنصاع لأوامره، وتنضوي تحت لوائه، وهي نظرة تبعث العزّة في نفس الإنسان المسلم، والثقة بمستقبل ما يحمله من فكر وعقيدة، وتبعث فيه أيضًا روح الاستهانة بما تتخبّط به البشرية من انحرافات عن دينه الحق.

٣٠ -عالج الإسلام كلّ الحالات التي تُخرج الإنسان من حالة التعادل النفسي، وتوقعه في انفعال يحطّ من كرامته وشخصيته وعزّته مثل الغضب والحسد والحقد.

## انحدار منحني العزّة الإسلامية في العصر الأموي

خلال نصف قرن عقب وفاة رسول الله(ص)، حدثت أمور أدّت إلى هبوط روح العزّة الإسلامية في النفوس، وازدادت مظاهر الخضوع

والخنوع والاستسلام والاهتمام بالصغائر في المجتمع الإسلامي، لعوامل عديدة أهمّها:

١ – التمييز الطبقي، حيث ظهرت في المجتمع الإسلامي طبقتان، إحداهما تتمتع بثروات طائلة والأخرى مدقعة معدومة، والتمييز الطبقي يؤدّي طبعًا إلى انهيارات في عزة قطاع من أفراد المجتمع بسبب الإحساس بالضعف والغبن والظلم.

٢ -التمييز العنصري، فقد أصبح غير العرب مواطنين من الدرجة الثانية، ومحتقرين، وأخذت منهم الجزية، وعوملوا معاملة سيئة أضعفت روح العزّة الإسلامية في أنفسهم.

٣ -الصراع القَبَلي ظهر في العصر الأموي بعد أن ضعفت روح الانتماء الرسالي، وعادت الروح الجاهلية والصراعات القبليّة بأوضح صورها في المجتمع، ومن الطبيعي أن تضيع روح العزّة الإسلامية في حمأة الاعتزاز القَبليّ الضيّق.

٤ -التخويف والتجويع، ظهر بأفظع صورة في العصر الأموي، بحيث إن الفرد المسلم كان يخشى على بيته أن يُهدم، وعلى لقمة عيشه أن تُسلب، وعلى دمه أن يُراق، وعلى عرضه أن ينتهك بالظنة ولأتفه الأسباب، مما خلق حالة من الذلّ والضعة والهوان في المجتمع الإسلامي.

٥ -الاستخفاف بالدين وأهله، والتجاهر بارتكاب المنكرات.

٦ -إشاعة أحاديث مكذوبة، ومذاهب مزعومة تدعو إلى الرضوخ للظالمين والركون إلى المتسلّطين وعدم الثورة عليهم، وقبول الأمر الواقع باعتباره قضاء من الله وقدرًا.

## مواقف أهل البيت العملية من مظاهر الإذلال

انتهج أئمة أهل البيت(ع) جميعًا مواقف عمليّة لصد عمليّة الإذلال، وإبقاء روح العزّ في المسلمين. ونستعرض فيما يلي أهم محاور هذه المواقف كي لا يخال القارئ الكريم أن استعادة العزّة إلى المجتمع الإسلامي تختصّ بالحسين(ع) وثورته.

١ -محاربة ظاهرة التمييز الطبقي وإشاعة العدل والمساواة في العطاء بين أفراد المجتمع الإسلامي.

٢ -كسر العصبيات العنصرية.

٣ -التأكيد على الولاة بالمحافظة على كرامة المسلمين وعزتهم، والاهتمام بعزل من يذلّ الناس ويستخفّهم.

٤ -غرس روح الشهادة والثورة ضد الظلم في المجتمع الإسلامي.

٥ -الاهتمام بالأمور التي ترتبط بعزة المسلمين وكرامتهم، وعدم فسح المجال للاختلافات الداخليّة أن تمسّ من هذه العزّة والكرامة.

٦ -السعي الحثيث لربط المجتمع الإسلامي بالله سبحانه؛ كي يستشعر العزّة، في هذا الارتباط، لا في المسائل الموهومة.

**موقف الحسين وأهل بيته من ظاهر الذلّ ونتائجها**

١ –رفضه بيعة يزيد، معلنًا أسباب عدم البيعة ومركّزًا على ظلم يزيد وانتهاكه حُرمات المسلمين.

٢ -التأكيد على مفاهيم العزة في كلّ أقواله.

٣ -التحذير من الذلّ وأنّه سنّة طبيعية تصيب المجتمع المتخاذل.

٤ -الابتعاد عن أيّ مظهر من مظاهر الذلّ حتّى في الساعات الحرجة.

٥ -التركيز على الإخلاص في العبودية في أقواله؛ ليستشعر الأفراد أنّ العزّة لله جميعًا دون سواه.

٦ -الصمود والمقاومة حتّى آخر لحظة.

٧ -مواقف زينب من محاولات الإذلال.

٨ -مواقف علي بن الحسين من محاولات الإذلال.

**أما النتائج فهي:**

١ –الانتفاض على حالة الذلّ واسترخاص الدنيا.

٢ -ارتفاع صوت طلب العزّة لدى الثائرين.

٣ -ارتفاع صوت التنديد بالظلم على المستوى الجماهيري.

٤ -أفول دولة الظالمين.

# سمات الشعر العاشورائي

عبدالمجيد فرج الله*

**• ضاهت نصوص شعر عاشوراء شعر صفين •النصوص عكست أرقى صور التقوى والارتباط بالله • نرى في النصوص امتزاج واقعي بين عالمي الغيب والشهادة • امتازت أيضا بصدق بطولي بعيد عن الادعاء والتكلف •ايقاعات هذا الشعر منسجمة انسجاما حيويا ملونا شفافا.**

حين نستقرئ نصوص الأشعار والأرجاز التي قيلت في عاشوراء المحرم سنة (٦١) للهجرة نجد قسَمات مشتركة بينها أعطتها التميّز والصبغة الخاصّة بها بالشكل الذي جعلها أكثر تطوّرًا عمًّا كانت عليه في الفترات السابقة. والذي لمسناه أنها ضاهت حتى تلك النصوص المقولة في صفين على الرغم من أنّ أدب معركة صفين كان قد بلغ مكانة سامقة بين أدب الحروب والمعارك الأخرى حتّى إنه يكاد يكون ملحمة شعرية واقعية اشترك فيها عشرات الشعراء والرجّاز.

ومن أوضح قسمات أدب يوم عاشوراء مايلي:

### ١ – وضوح الرؤية من منظار إيماني

حيث نلاحظ طغيان حالة من الإيمان العميق عكست أرقى

* – أديب وباحث عراقي.

صُوَر التقوى والارتباط الحي الواعي مع الله من خلال رؤية صحيحة واضحة للكون والحياة متأثرة غاية التأثر بالقرآن الكريم والتعاليم الإسلامية المقدسة. وهذا الأمر نراه جليًا في أغلب تلك النصوص. وكأمثلة على ذلك قول الإمام الحسين(ع) في ليلة عاشوراء:

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراق والأصيلِ
من صاحب أو طالب قتيلِ ... والدهر لا يقنع بالبديلِ
وإنَّما الأمر إلى الجليل ... وكلُّ حيٍّ سالكُ السبيل

وقول محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

نشكو إلى الله منَ العدوانِ ... فِعالَ قَوْم في الردى عميانِ
قَد بدَّلُوا معالِمَ الفُرقان ... وَمُحكمَ التنزيل والتِّبيان
وأظهروا الكفر مع الطّغيان

وواضحة في هذا النص الأهداف الإصلاحية التي أرادت تحقيقها ثورة الإمام الحسين(ع) للرجوع إلى محكم التنزيل وتطويق ووأد مظاهر الكفر والطغيان.

### ٢ -التضحية من أجل الإمام الشرعي

إذ انطوت نصوص كثيرة على بوح صريح واعتقاد راسخ بأنّ التضحية من أجل الإمام الحسين هي واجب شرعي، وأن الاستشهاد دونه هو أقصر الطرق للفوز برضوان الله ونعيمه، وبأن الإمام(ع) هو خليفة المسلمين الشرعي وإمام زمانهم والقائم بأمر

رسول الله(ص) فيهم؛ ومن تلك النصوص قول الطرمّاح حين حدا بركب الإمام الحسين(ع):

يا ناقتي لا تذعري من زجري وشمِّري قبل طلوع الفجرِ
بخير ركبانٍ وخير سفرِ حتى تحلّي بكريم النجْرِ
الماجدِ الحرِّ رحيبِ الصدر أتى به الله لخير أمر
ثمة أبقاهُ بقاءَ الدهرِ

وقول عبد الرحمن بن عبدالله اليزني:

أنا ابن عبد الله من آل يزنْ ديني على دين عليٍّ وحسن
أضربكم ضرب فتىً من اليمنْ أرجو بذاك الفوز عند المؤتمنْ

وقول قرة بن أبي قرة الغفاري:

قد علمتْ حقّاً بنو غفارِ وخندفٌ بعد بني نزارِ
بأنني الليث لدى الغبارِ لأضربنَّ معشرَ الفجّارِ
بكلّ عضب ذكر بتّارِ ضربًا وحثْفًا عن بني الأخيارِ
رهط النبيّ السادة الأبرار

وقول جون مولى أبي ذر الغفاري:

كيف ترى الكفار ضرب الأسودِ بالمشرفيّ القاطعِ المهنّدِ
بالسيفِ صلنا عن بن محمّد أذبُّ عنه باللسان واليدِ
أرجو بذاك الفوز يوم الموردِ من الإله الواحد الموحَّدِ
إذ لا شفيع عنده كأحمد

وقول زهير بن القين:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حســـينًا أحـــد الســـبطينِ  من عتـــرة البرّ التقيّ الزينِ
ذاك رســـول الله غيـــر الميـــنِ  أضربكـــم ولا أرى مـــن شينِ

### ٣ - الانغماس الكامل في عالَم الآخرة والجنة

ويبدو ذلك جليًا في عدّة نصوص، حيث تحدّثت عن عالم الغيب (الآخرة والجنة والموت) بلسان الخبير البصير السميع، وكأن هناك ساعة امتزاج واقعي بين عالَمي الغيب والشهادة تكسر حدود الزمان والمكان والأبعاد، يقول سعيد بن عبدالله الحنفي:

أقدمْ حسين اليوم تلقى أحمدا  وشيخك الخير عليًا ذَ الندى
وحسَنًا كالبدر وافَى الأسعدا  وعمَّك القرْن الهجان الأصيدا
وذا الجناحين، هنـــوا وسعـــدا  وحمـــزة الليث الهـــزبر الأسدا
في جنة الفردوس يعلو صُعُدا

ويقول الحجاج بن مسروق أو زهير بن القين:

أقـــدم هُـــدِيتَ هاديًـــا مهـــديّا  فاليومَ تلقـــى جـــدَّك النبيّا
ثـــمّ أبـــاك ذا النـــدى عليّـــا  ذاك الـــذي نعرفه الـــوصيّا
والحســـنَ الخير التقـــي الوفيّا  وذا الجناحين الفتى الكمـــيّا
وأســـد الله الشهيـــد الحيّـــا

ويقول عبد الله بن مسلم بن عقيل:

اليـــوم ألقـــى مســـلمًا وهـــو أبـــي  وفتيةً ماتوا علـــى دين النبيّ
ليـــس كقوم عرفـــوا بالكذبِ  لكـــن خيـــارٌ وكـــرامُ النسبِ
من هاشم الساداتِ أهل الادبِ

### ٤ - البطولة الواقعية

امتازت تلك النصوص بصدق بطولي بعيد عن الادّعاء والتكلّف، إضافة ما امتازت به من صدق عقيدي وروحي. وقد كان لاتساق وتطابق القول مع الفعل رنين خاص زاد من بهاء النص الشعري حيث تتلازم الشجاعة مع المفردة حتّى النَفَس الأخير متوّجةً بنيل الموقف وشرف الأمانة ومسؤوليّة الكلمة. وفي هذا الإطار نسمع – مثلاً – قول عمر بن مطاع الجعفي:

انا ابن جعفٍ وأبي مطاعْ ... وفي يميني مرهف قطّاعْ
وأسمرٌ في رأسه لمّاعْ ... ترى له من ضوئه شعاعْ
اليومَ قد طاب لنا القراعْ ... دون حسين الضرب والنطاعْ
نرجو بذاك الفوز والرفاعْ ... عن حَرّ نار حين لا امتناعْ

وقول هلال بن رافع البجلي:

أنَا الغلامُ التممي البجليّ ... ديني على دين حسين بن عليّ
أنْ أقتل اليوم وهذا عملي ... وذاك رأيي أو ألاقي أملي

وقول أبي بكر بن الإمام علي بن أبي طالب(ع):

شيخي عليٌّ ذو الفخار الأطولِ ... من هاشم الخير الكريم المفضلِ
هذا حسين ابن النبي المرسلِ ... عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبجّل ... يا ربِّ فامنحني ثواب المنزل

وقول عمر بن الإمام علي بن أبي طالب(ع):

خلّوا عداة الله خلّوا عن عمَرْ ... خلّوا عن الليث العبوس المكفهرّ
يضربكم بسيفه ولا يفرّ ... وليس فيها كالجبان المستجرّ

وقول علي بن الإمام الحسين(ع):

أنا عليُّ بن الحسين بن علـــيّ نحن وربّ البيت أولى بالنّبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعيّ

### ٥ -حيوية الإيقاع والقافية

تميّزت النصوص بمميزات فنية عديدة من حيث الإيقاع واختيار المفردة وانتقاء القافية لتشكّل نمطًا منسجمًا يتفاعل كلّ جزء فيه مع الآخر بحيوية جميلة وتلّون شفاف. نرى ذلك من خلال عدة إيقاعات كل جزء فيه مع الآخر بحيوية جميلة وتلّون شفاف. نرى ذلك من خلال عدة ايقاعات من بحر الرجز غلب عليها ضرب ليّن ينبئ عن الاستقرار النفسي والامتزاج الروحي المشعّ بالاطمئنان والذوبان في سبيل الهدف الأسمى، تضارعه قافية هادئة دافئة توحي بالكثير وتشي بالأروع والأبهج وكمثال على ذلك قول الإمام الحسين(ع) المتقدم «يا دهر أفٍّ لك من خليل» وقول سعيد بن عبدالله الحنفي «أقدم هُديت هاديًا مهديًا» والمقاطع المنسوبة إلى العباس بن الإمام علي(ع) التي تبدأ بهذه المطالع.

* والله أن قطعتمُ يَميني
* يا نفس لا تَخْشي من الكفَّارِ
* يا نفس من بعد الحسين هوني
* لا أرهب الموتَ إذا الموتُ رقى

# دُرَرُ السِّمط في خَبَرِ السِّبط
# لابن الأبّار القضاعي

**• الحديث عن الإنتاج الثقافي الأندلسي يثير في النفس الأسى على ضياع الأندلس. وهذا الأسى ليس على أرض فُقدت، أو دولة أُزيلت، بل على فرصة عظيمة قد ضاعت، فرصة اللقاء بين الحضارتين الأوربية والإسلامية. لعلّ كثيراً من المآسي التي حلّت بالعالم خلال القرون الأخيرة ما كانت لتحدث لو أن التفاعل الحضاري في الأندلس قد تواصل. على أي حال نفتح هذه الصفحة من ثقافة المسلمين في الأندلس، على أمل أن ينفتح حوار جاد بين العالم الإسلامي وأوربا عبر اسبانيا التي ترث هذه الثقافة نظريًا، وهذا أثر أندلسي أدبي يرتبط بالحسين بن علي(ع).**

أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعي. ولد في بلنسية سنة ٥٩٥هـ ونشأ فيها. تلقّى العلم على شيوخ بلدته وألمّ بفنون كثيرة من العلم والأدب، وبرع في التأليف والتصنيف، واشتهر بشعر الاستصراخ، أي طلب النجدة لإنقاذ الأندلس، وله اهتمام خاص

بحادث شهادة الحسين(ع) وواقعة الطف.

من أهمّ مؤلفاته في تاريخ الأندلس وأدبائها كتاب التكملة لكتاب الصلة (لابن بشكوال)، والحلّة السيراء. وفي الحسين بن علي: درر السِّمْط في خبر السبط، وكتاب: معادن اللُّجين في مراثي الحسين.

اشتغل ابن الأبار في ديوان الكتابة لوالي بلنسية، وحينما حاصر الإسبان مدينته ذهب ابن الأبار في وفد إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى مستنجداً، وأنشد سينيته المعروفة، لكنّ النجدة وصلت متأخرة وسقطت بلنسية بيد المهاجمين سنة ٦٣٦هـ . وخرج ابن الأبار وأسرته منها إلى تونس. وساءت العلاقة بينه وبين المستنصر بن يحيى حاكم تونس بسبب دسّ الخصوم، فأمر بقتله، فقتل مظلوماً سنة ٦٥٨هـ .

ورسالته في الحسين ليست من قبيل السرد التاريخي، بل هي عرض أدبي يبيّن فيها الكاتب مشاعره بأسلوب جميل، يغلب عليه السجع، وتتخلّله أبيات من الشعر وآيات من القرآن، وفيه لوعة واستعبار.

جاء في الفصول ٢٧ - ٣٤ من الرسالة:

«وكم رجا ابنُ مرجانة أن يجرّعُهُ المهانةَ: وتلك التّي تَستكُّ منها المسامِعُ.

قال ابن الطاهرتين، أأنزل على حكم ابن مرجانة، متى سَلَفت أولى فَتُخلَف بثانية؟!

في مسلم وهاني زاجرٌ، فأنّى يؤمّن برًا فاجرٌ. أي عبيدَ آلُ صخر! جدّي سيّد ولد آدم ولا فَخر. أمِنّي تروم الدنيّة، كأنّي أهابُ المنيّة!؟

أكـــرّ علـى الكتيبـــــة لا أبالـي  أحَتْفِـي كـان فيها،أَمْ سِواها

جاء عنه أنه خطب في ذلك الخطب الجليل وزهّد في عيش كالمرعى الوبيل، وقال لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذَّليلِ.

سأغسِل عنّي العارَ بالسّيف جالبًا  عليَّ قضاءَ الله،ما كان جالبًا

ليرغَبَ المؤمنُ في لقاء الله، يحمَدُ معادَه، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، ﴿وعجلت إليك ربّ لِترضى﴾.

هوّن قدرَ الدّنيا وصروفَها، وبيّن إقبالَ مُنكَرِها وإدبارَ مَعروفِها، ونادى فأسمعَ، وقد عزم طلاقَها وأزمع: «ألا ترون الحق لا يُعمَل به والباطل لا يُتَناهى عنه».

إلـــى ديّـــان يـوم الدّين نمضي  وعنـد الله تجتمـعُ الخصـوم

❖ ❖ ❖

أحبَّ السبط لما أعضل الداء وكثُرَ أولياءه الأعداء، أن يَجلُو الخفيّةَ والخبيّةَ ويبلُوَ ما عند فئة فيها بليّة، والكريم لا يُوالِسُ، ولا يُدالس، فجمَعَهم وهُمْ أُزيد من سبعين رجّالة وفوارس، ثمَّ أذنَ لهم في الانطلاق وعدمِ التنفيس في الخناق، وقال لبني عقيل: حسبكم لمسلم تحمّلاً، وهذا الليل قد غَشِيَكم فاتّخذوه جَمَلاً.

فأبوا إلاّ نيلَ المرام، أو موتَ الكرام، ورأوا أنّ العيش بعدهُ عين الحرام.

إذا ما أعضَلَ الأمرُ دفعنا الشّرَ بالشّر

وما للحُرّ منجاةٌ كمثل السيف والصّبر

كان من جوابهم، إذ رخَّصَ في ذهابهم: لِمَ نَفعَلُ ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا والله حتّى نَرِدَ وِردَك.

إن كان بُعدكُمُ في العيش لي إربٌ فـــلا قضيـــت إذًا مـن حبّكم إربًا

بوركوا أشرافًا، ونصعوا أوصافًا، وأوسعوا سيدَهم إنصافًا.

أحيـــــوا فـــرادى ولكنهـــم على صحبة البيـن ماتوا جميعًا

عصبوا بأمره أمورَهم، وبذلوا دون نحره نحورَهم، مستحلّين من الحِمام، ومستوفين على غاية الكمال والتمام.

عـــينيَ ابكـــي بعـــبرةٍ وعويـــلِ وأنـــدُبي إذ ندبت آل الرسول

ستّـةٌ كلهّم لُصلـــبِ عَلـــــيّ قـــد أُصيبـــوا وخمَسـةٌ لعقيل

❖ ❖ ❖

عاشرُ المحرَّم أُبيحت الحرمات، وأُفضيت على النور الظلمات، فتفاقم الحادثُ، وحَملَ على الطيبين الأخابثُ، وضُرب السبط على عاتقه ويسراه، وما أجرأ من أسالَ دَمَهُ وأجراهُ. ثمَّ قُتِلَ بعقب ذلك ذبحًا، يُبكي حتّى العاديات ضبحًا، أجزاء حائلةُ الحُلى، وأشلاء كرُمنَ على البلى. ومال الغُواةُ على المتاع والثّياب، ونازعوا النّساء ما عليهن في النّهاب، إلى خدود خدّوها، وقدود قدّوها ومحارم استحلّوها وانتهكوها، وأكارمَ أبقوا جثثَهم وتركوها: جُزُرًا لخامعةٍ ونَسرٍ قَشْعَمٍ.

فيالله من أيدٍ عادية، وأنفسٍ مُصادية، فُصِلَت بالخُسران خَزايا،

وحَمَلَت كرائمَ أظعانٍ سبايا.

فما في حريم بعدَها من تحرّج ولا هتكِ ستر بعدَها بمُحَرّم

باب الندبة هنا يحسُن، فدع ما يُسِرّ لما يُحْزِن.

أترجو أُمةٌ قتلت حسينًا شفاعةَ جدّه يومَ الحساب

أعجبهم أن يتخبط غليلاً، قبل أن يتشحّط قتيلاً :﴿ إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾.

أتنتَهِب الأيامُ أفلاذَ أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودَّد

ويضحى ويظمى أحمد وبناته وبنت زياد وِردُها لا يُصرّد

أفي دينه في أمنه في بلاده تضيق عليهم فسحةً تتوردُ

وما الدّين إلاّ دين جدّهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا

❖ ❖ ❖

ومن نادر الاتفاق، السائر في الآفاق، أن قُتِلَ يومَ عاشوراء ابنُ زياد، وهي من خارقات الاعتياد، أوجده ابن الأشتر فقده، حين ضربه في المعترك فقدّه، ثم أحرق جثّته الخبيثة، وأذهبَ عُبيّتَهُ القديمة والحديثة. واتفاق آخر في ذلك المقام والأهوال لا يتأخر في الغرابة عن رتبة الأول، وهو أن أُدخِلَ برأسه على عليّ بن الحسين وهو يتغدّى، في أخذه بما كان يحيف ويتعدّى، فلمّا رآه، قال سبحان الله، ما اغترّ بالدّنيا إلا من ليس في عنقه نعمة. لقد أُدخل رأس أبي عبدالله(ع) على ابن زياد وهو يتغدّى أليس عجيبًا؟! إنّ ذا لَعَجيبُ.

هذا إلى وقعة جبّانة السبيع، واشباه لها آحاد وجميع. وما كان

الدّم الطّاهر ليذهب ويضيع، وكَفى بفعل عبدالصمد بن علي، وقوله، في سَطوه بالأمويّة عند انقراضه وصَولِه:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمها أخذي بثأري من بني مروان

من آل حربٍ ليتَ شيخي شاهدٌ سفكي دماء بني أبي سُفيانِ

❖ ❖ ❖

وهَبِ الرّجال تُحزّ رؤوسُهم وتُبزّ نفوسهم، ما للنساء بالكوفة يُؤسَرن وإلى دمشق يُسيَّرن؟!!:

بناتُ زيادٍ في القصور مصونةٌ وآلُ رسول الله في الفَلَوات

لا ينقضي العجب من يزيد يُعيّرُ عبيدَ الله حملَهنَّ على الأقتاب مسافرات، ويقعد هو وبطانته لرؤيتهنّ سافرات، بعد أن بعث بالرأس للبعيد والقريب، وعَبَثَ في قرعِ الأسنان بالقضيب: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

ومقبّلٌ كان النبيّ بِلَثمِهِ يَشفي غَرامَهْ

قَرَعَ ابنُ هند بالقضيـ ـبِ عذابَه فرطَ استضامَهْ

وأشادَ نغمتَه عليـ ـه وصبّ بالفضلات جامَه

لَيُضَرّسَنَّ يدَ الندامةِ حين لا تغني النَدامَة

ومع قعوده لما اعتقده فتحًا، وعرضهنّ في الهيآت المتناهيات قبحًا، فقد دمعت عيناه الجَمُود وأقرّ بحقّهنّ وهو الجَحُود.

❖ ❖ ❖

تمثل يزيد ورأس الحسين بين يديه، وقد أطال النّظر لو ازدجر

واعتبر لديه:

تعلّق هاماً من رجالِ أعزةٍ  علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وقال: لعن الله ابن سميّة، لو كانت بينه وبينه رَحِم، ما فعل هذا: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾.

أكثر به في الآفاق المدار، فأظهر مروان إليه البدار، يرتجز ما يَغيظُ الإيمان، ويقول: كأنّي أنظر إلى يوم عثمان[1]، لو ذكر حبسَ الحكَمَ بالطائف[2]، ما شَمَتَ بقتل الحسين بالطّف، ولم تخنقه في مصيبته عَبرة، فمات خنقاً وفي ذلك عبرة.

أيّها العاذُل الذي  بعذابي توكّلا

عِشْ صحيحاً مسلّماً  لا تعيّر فتُبتَلى

تناولته الأيمان وتناقلته الركبان، تسير به بل تسيل، فجثمان حيث الفرات وجمجمة حيث النيل[3].

يا بُعدَ مصرع جثّة من رأسها  رأسٌ بمصرَ وجثّة بالرّخّج[4]

❖ ❖ ❖

---

١ - هذا قول مروان بن الحكم يشمت بقتل الحسين.

٢ - الحكم بن العاص أبو مروان نفاه رسول الله(ص) إلى الطائف.

٣ - يقصد مصر .

٤ - الرُخّج: قرية قرب بغداد.

أهانَ منه عبيدُ الله[1] الدّعي، ما أكرمَ عبيدُ الله[2] الشيعي، فاعجَبَ لهذين السميّين كيف تفاوتا في النّزول والسّمو، وكأنّما تفاوضا في التسمّي بالوليّ والعدوّ، فأقدمَهُما أراقَ دَمَهُ بحربته، وأحدثهما نصر مَنْ زَعَمهُ في الكون من ذريته. ولمّا صار ملك مصر لأبنائه، جعلوا له مصنعًا[3]، تأنّقوا في بنائه، فجاء للروضة نظيرًا، وبما أُشرب من ماء الذّهب نضيرًا، يقيّد الأبصار جمالاً، ويَدْلَهُ الأفكار جلالاً، قد أودع من الرّخام الغريب ما أودع، وكلّما أُعيدَ في ترصيعه وأُبدي أبدَعَ [4].

وهنالك مسجد أُلبست المرمرَ حيطانُه، وفيه حَجَر يصفُ الأشخاصَ لمعانُه، داخلُهُ يبادر استلامه، قبل أن يقضي سلامه[5]، ويرسل دموعه، بعدما يصل خشوعه، وقد علّقوا عليه ستور الدّيباج، وأنفوا لمصابيحه أن تُسرَجَ في الزّجاج، فهي من الفضّة البيضاء، كما صُفَّت أمواه الإضاء[6]، تقديسًا لتلك الهامة، لا عدمت صوبَ الغمامة.

وقبلها بَنَى أبوهم المهديّةَ بالمغرب، وصارمُ صريمتِهِ غيرَ نابي

---

١ - ابن زياد .

٢ - عبيدالله المهدي الفاطمي .

٣ - بناءًا .

٤ - قارن بما ذكره ابن جبير في وصف الروضة الشريفة .

٥ - أي قبل أن يسلّم يبدو وكأنه استلمه .

٦ - أي مياه البحيرة .

المَضرب، ضارعًا بكلمته الخالدة في العوالم: اليوم آمنَتُ على الفواطم.

فقيل في تلك البنيّة ما أومأ للميتة الحسينيّة:

خطّت بأرجاء المغاربِ دارٌ دانت لها الأمصارُ والأقطارُ

لاذت ببرد الماء لمَّا أيقنت أن القلوبَ على الحسينِ حِرارُ

❖ ❖ ❖

أيّة فتنة عمياء، وداهية دهياء!! لا تقوم بها النوادب، ولا تبلغ معشارها النوائب. طاشت لها النُّهى وطارت،وأفلَتْ شُهُب الدُّجا وغارت، لولاها ما دخل ذلٌ على العرب، ولا أُلف صيدُ الصقر بالخَرَب، وقُصفَ النّبعُ بالغَرَب[1]، فانظر إلى ذوي الاستبصار، خُضّعِ الرّقاب نواكسِ الأبصار.

وإنّ قتيل الطّف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلَّتِ

ما سكَنَت سُكينة[2]، حتى أسمعت القوم، ما تجاوز التثريب واللّوم، إذ خرجوا لتوديعها ورغبوا في تشييعها، ومصعب بن الزّبير، بعلها، قد خذلَتَهُ الكوفة وأهلها: أيتمتموني صغيرةً، وأرملتموني كبيرةً.

❖ ❖ ❖

ويلَكَ يا قاتلَ الحسين لقد نؤتَ بحمل ينوءُ بالحامل

---

١ - أمثال تضرب للشريف يعتدي عليه الوضيع والخَرَب : طائرُ الحبارى. النبع: شجر في أعالي الجبال. والغَرَب: شجر في الوديان.

٢ - سكينة بنت الحسين(ع).

أي حبـــاء حـــبوت أحمـــدَ فـــي حُفرتِهِ مـن حـرارةِ الثـــاكل
تعـــالَ فاطلـــب غَـــدًا شـــفاعَتهُ وانهض فَرِدْ حوضَه مَع الكاهل
ما الشـك عندي في حـــال قاتله لكننـــي أشـــكُّ فـي الخاذل[1]

❖ ❖ ❖

مـا عُـذرُ الأمويـة وأبنائهـا، في قتـل العلويـة وأفنائهـا، ﴿أهـم يقسمون رحمة ربك؟!﴾

كم من دليل في غاية الوضوح على أنهم كسفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرقَ.

ثم يحبسهم آل الطليق، ويطردهم آل الطّريد: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾...

من عصبة، ضاعت دماء محمد(ص) وبنيـــه، بيـن يـــزيدها وزيادها

كان الحسين يقطع اللّيل، تسبيحًا وقرآنًا، ويزيد يتلف العُمر تبريحاً وعدوانًا. «عمرك الله كيف يلتقيان». افتتح بكربلاء أمره، وختمه بعد ذلك بالحَرّة[2]، إنَّ هذا لهو البلاء المبين. انهبَ المدينةَ ثلاثًا، وقتل أهله كهولاً وأحداثًا ، ومالبث أن قتلهُ الجُدري ، وأدبر، ورأيه الدّبري[3]. ثم انكفأ ابنه عاجلاً وانقلب، وصار المُلك بعد أبي ليلي لمن غلب. قرضهم التسلّط في السلطان، واعتصر ما وَهَبَ لهم العصران:

ثـــمَّ صـاروا كـــأنهّم ورقٌ جـــ ـفٌّ فألوت به الصّبا والدبورُ[4]

---

١ - الابيات للشاعر الشيعي منصور النمري.

٢ - إباحة جيش يزيد مدينة رسول الله(ص).

٣ - هو الرأي بعد فوات الأوان.

٤ - الدبور: ريح تقابل ريح الصبا.

# القسم الرابع : الذنب يغير النعم ويبيد الأمم

سيد هاشم الرسولي المحلاتي *

**• العامل الأساس في التغيير الاجتماعي من وجهة نظر الإسلام هو «الإنسان» • ارتباط عمل الإنسان بالوضع الاجتماعي والاقتصادي سنّة كونية يقررها القرآن ويعبر عنها بأشكال متعددة • للذنب أثر في زوال النعمة، وللتقوى اثر في وفورها • الظلم من عوامل انهيار المجتمعات وفنائها • في التاريخ القديم والمعاصر عبر تؤكد سنة الله في الكون، أي تؤكد اثر الذنوب في إبادة الأمم والشعوب**

## المردود الاجتماعي للأعمال

أجمعت المدارس الفكرية القديمة والحديثة على تأثير العمل الفردي على الواقع الاجتماعي، لكنها اختلفت في تشخيص العامل الأساس المؤثر في التغييرات الاجتماعية.

المدارس الوضعية ذهبت غالباً إلى البحث عن هذا العامل خارج

* - عالم دين إيراني.

وجود الإنسان، فبعضها وقف عند العوامل الجغرافية واعتبرها هي العامل الأساس في التغيير الاجتماعي، وبعضها وقف عند العامل الاقتصادي، وحتى التي بحثت عن العامل داخل الإنسان تبنت عوامل داخلية في الإنسان خارجة عن إرادته كعامل الغريزة الجنسية أو عامل الدم ونوع الجنس، واعتبرتها هي المحركة لمسيرة التاريخ.

أما المدرسة الإلهية الإسلامية فقد نظرت إلى الإنسان باعتباره محور التغيير، ونظرت إلى النفس الإنسانية باعتبارها منطلق كل تقدم أو تدهور في المرافق السياسية والاقتصادية للمجتمع.

الفلاسفة الإسلاميون سلكوا سبلا معقدة شتى لتبيين العلاقة المنطقية العقلية بين فعل الفرد ووضع المجتمع، ولا حاجة لاستعراض آراء هؤلاء الفلاسفة، فذلك يتطلب كتابًا مستقلاً. ونكتفي هنا بعرض النظرية الإسلامية من خلال ما قدمته من نصوص صريحة واضحة.

### سنة كونيَّة

القرآن يربط بين عمل الأفراد والتغييرات الاجتماعية السلبية أو الإيجابية، ويعتبر هذا الربط سنة كونية. فهو يتحدث – مثلا – عن المتآمرين على الرسالة وصاحبها، ثم يربط بين هذا التآمر وما يمكن أن يحدث من تغيير اجتماعي يطيح بأصحاب التآمر،

ويسمي ذلك «سنة الله» فيقول: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلا قَلِيلا، مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾.(الاحزاب / ٦٠-٦٢).

وعن مشركي قريش، يتحدث القرآن، فيذكر شوقهم للهداية، ثم إعراضهم عن طريق الحق بعد إعلان الدعوة لاستكبارهم ولمكرهم السيء، ثم تشير الآية إلى عاقبة المستكبرين والماكرين باعتبار أنها سنة لا تقبل التغيير:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إلا نُفُورًا ، اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾.(فاطر/ ٤٢-٤٣).

هذه الحقيقة يعبر القرآن عنها بأساليب مختلفة فيقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. (الانفال/ ٥٤).

ويقول في آية أخرى:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾.(الأنفال/٥٤).

ويقول في آية أخرى:

﴿إِنَّ اللّـهَ لاَ يُغَيِّـرُ مَـا بِقَـوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّـرُواْ مَـا بِأَنْفُسِـهِمْ﴾ (الرعد/١١).

ويربط القرآن بين خط الانحراف وضنك العيش فيقول:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾. (طه/ ١٢٤).

وحول ما يحيط الإنسان من مصائب يقول سبحانه:

﴿ وَمَـا أَصَـابَكُم مِّـن مُّصِـيبَةٍ فَبِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِيكُمْ وَيَعْفُـو عَـن كَثِيرٍ﴾ (الشورى/ ٣٠).

فالمصائب ليست لها عوامل غيبية مجهولة، ولا وليدة الصدفة، بل هي نتيجة عمل الإنسان. ولا يربط الإسلام شقاء الإنسان بعمله حسب، بل إن سعادته أيضا رهينة بأعماله.

يربط القرآن بين التقوى والرخاء الاقتصادي فيقول:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. (الاعراف/ ٩٦).

هذا المفهوم تعبر عنه النصوص الإسلامية بأساليب مختلفة:

يقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق/ ٢).

ويقول : أيضا: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. (ابراهيم/ ٧).

وعن أمير المؤمنين(ع): «إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا وأقصاها بقلة الشكر».

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنبًا يستحق بذلك السلب».

وقال أيضاً: «إن الله قضى حتمًا ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبًا يستحق بذلك النقمة».

هكذا يخرج الذنب عن إطار العمل الفردي ليمتد إلى الصعيد الاجتماعي، وتلك سنة كونية إلهيّة لا تقبل التغيير.

ويذكر القرآن قصص أفراد وأقوام يشير من خلالها إلى هذه السنة.. سنّة ارتباط الذنب بزوال النعمة، والتقوى بوفور النعمة. نستعرض منها قصتين: قصة يوسف على تقوى الفرد. وقصة قوم سبأ على صعيد ذنب الجماعة.

## يوسف بطل التقوى

قصة يوسف الصديق تنطوي على أعظم العبر والعظات. شاء الله ان يؤخذ يوسف إلى مصر، فيباع هناك «بثمن بخس دراهم معدودة»، وكان المشتري «عزيز مصر» فقال لامرأته: «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»، وهكذا دخل يوسف البلاط، وفيه امرأة عزيز مصر التي لا تفكر إلا في لذاتها وأهوائها، وليس لها مطمح سوى الاستزادة من إشباع شهواتها.

مجيء يوسف الشاب الجميل إلى هذا القصر، دفع بهذه المرأة لأن تفكر في استثمار يوسف على طريق شهواتها الجامحة. فما الذي يستطيع أن يمنع مثل هذه المرأة من الاستسلام لنداء الشهوات الجامحة، فالإيمان وحده هو القادر على ضبط الشهوات.. وما في قلب «زليخا» إيمان. لذلك أعدت كل السبل لإيقاع يوسف في شراكها. وكما قال القرآن الكريم.

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾. (يوسف/٢٣).

في هذه اللحظات مرّ يوسف بامتحان عسير. فهو الشاب الذي فيه ما في الشباب من شهوة عارمة، وأمامه زليخا بكل مافيها من مفاتن طبيعية واصطناعية. وهو في داخل غرفة مغلقة الأبواب، بعيدة عن الأنظار، وكل ما حوله من رياش وزخرف وستائر يدغدغ الشهوة ويثيرها.

وهناك إلى جانب كل هذا، الطلب الشديد الملح من زليخا.

أمام هذه العوامل الدافعة نحو الانزلاق إلى حضيض الشهوة، صمد يوسف وقاوم.. أمام الشهوة، وأمام تهديدات هذه المرأة الطاغية. وفرَّ إلى الله من وساوس الشيطان، وانتصر، وأثبت جدارته في اللحظات الحاسمة.

ماذا كانت النتيجة؟

مرّت الأعوام والسنين، وإذا بالحقيقة تنكشف لعزيز مصر،

ويعرف مكانة يوسف وصدقه وأمانته.. فيستدعيه بلهفة قائلا ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

بعد أن كسب يوسف ثقة هذا الملك، أراد أن يتولى المسؤولية التي تليق بقدرته وبهدفه في خدمة الناس: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

وبعد أن التقى يوسف بإخوته، وتعجب الإخوة مما بلغه أخوهم من منزلة، بين لهم بعبارة موجزة كل ما جرى في ذلك اليوم في قصر عزيز مصر وقال: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (يوسف/ ٩٠).

فلو كان يوسف قد انزلق في مستنقع الشهوة، لما بلغ هذا المكان الرفيع، ولما كسب ثقة الملك. فالتقوى هي التي رفعته.. ولحظات من الصبر والصمود هي التي جعلته الصديق الصالح الذي يشع بالخير على أهله ومجتمعه.

### طغيان قوم سبأ

القرآن الكريم في حديثه عن الأمم الماضية يربط بين زوال نعم هذه الأمم وما اقترفته من ذنوب ومعاص.

يقول سبحانه: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾. (المؤمن/ ٢١).

وقال سبحانه عن هذه السنة الكونية.

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (الأنفال/ ٥٢).

وبشأن قوم سبأ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾ (سبأ/١٥-١٧).

## قصة قوم سبأ

اليمن في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية كان دومًا مطمح الأنظار، تنازعت عليه الدول، وكان زمنًا تحت سيطرة ملوك إيران الساسانين، كل ذلك لمكانته المهمة، ولنعمه الوافرة حتى سمي باليمن السعيد.

ونالت اليمن استقلالها في بعض العصور، من ذلك خلال عصر ملوك سبأ، فقد ذكر أنهم أقاموا دولتهم خلال القرن التاسع قبل الميلاد، واستمرت ٦٠٠عام. وتشير الحفريات في تلك المنطقة إلى أنّ هذه الدولة بلغت شأواً كبيراً من التمدن ومن التقدم الفنّي والهندسي.

من أهم أعمال ملوك سبأ بناء سد مأرب. ومأرب عاصمة اليمن آنذاك، وتقع في واد محاط بجبال مرتفعة.

كان لهذا السد العظيم الأثر الكبير في إحياء الأراضي وفي تبديل المدن المجاورة له إلى جنان مزدهرة بالأشجار المثمرة، وقيل في وصف تلك المزارع الكثير.

كان على أهل تلك الأرض الموفورة النعم أن يشكروا الله على ما رزقهم، لكنهم طغوا وغرقوا في شهواتهم، وأبطرتهم النعمة، ووقفوا في وجوه الأنبياء، وعارضوهم، فاستحقوا العذاب. فأرسل عليهم سيل «العرم»، فهدم السد وأباد الزرع، وجرف كل شيء، وحوّل المدن إلى أراض مقفرة.

يقول تعالى في الذنوب التي تغير النعم: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام/ ٦).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يونس/١٣).

وقال أيضا: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾. (الانفال/٥٤).

وقال بشأن قوم ثمود: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (الشمس/ ١٤).

ويذكر القرآن أحيانًا هذه السنَّة الكونيَّة بشكل قاعدة عامة دون أن يربطها بقوم من الأقوام، كقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء/ ١٦).

وهذا يعني أن هلاك الأمم لا يتم إلا بعد انتشار الفسق والفجور على أيدي اللاهين العابثين المترفين في المجتمع.

## الظلم أهم عوامل فناء الأمم

الظلم من الذنوب التي تؤدي إلى إبادة الشعوب وفنائها، والله سبحانه يخاطب نبيه نوحًا بشأن قومه فيقول: ﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود/ ٣٧).

وبشأن قوم عاد يقول: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاء فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون/ ٤١).

وعن قوم ثمود يقول سبحانه:

﴿ وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (العنكبوت/ ٣١).

وعن قوم شعيب:

﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود/٩٤).

وعن قوم فرعون:

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/ ٥٠).

وعن أصحاب السبت قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ (الاعراف/١٦٥).

ويعبر القرآن في مواضع أخرى عن ارتباط الظلم بفناء جميع الأمم والشعوب فيقول: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ (يونس/ ١٣).

ويقول: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً﴾ (الكهف/ ٥٩).

## في التاريخ عبرة

لو القينا نظرة على تاريخ الأمم لوجدنا أن الذنوب هي العامل الأساس في انحطاطها وفنائها، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين(ع) إذ قال «وأيم الله ماكان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب أجترحوها لأن الله ليس بظلام للعبيد».

وكل ما مرّ على الأمم يشكل دروساً علينا أن نتعظ بها، ولذلك يقول(ع): «العاقل من اتعظ بغيره».

وفي تاريخ المسلمين بالذات آلاف العبر، وآلاف الصور والمشاهد التي ترسم بوضوح كيف نخرت الذنوب بكيان الأمة وأسقطتها من قمة السمو والرفعة إلى هاوية التشتت والضياع.

وما نقله المؤرخون لنا عن تاريخ الحكم الإسلامي الذي كان مزدهرًا في الأندلس يدمي قلب كل إنسان مسلم غيور. فهذه البقعة الحساسة المهمة من العالم كان بإمكانها ان تشع بنور الإسلام على كل القارة الأوروبية لولا انغماس الشباب المسلم هناك في الملذات والموبقات، وانهماكهم في معاقرة النساء والخمور، وسقوطهم في الفخ الذي نصبه لهم أعداؤهم عن طريق الجنس بالذات.

وتاريخ أوروبا الحديث مفعم بهذه العبر، و لايشك باحث في اثر الخمور في سقوط فرنسا عام ١٩٤٠م.

والإحصائيات التي يقدمها الغرب عن الجرائم والمآسي الناتجة عن ارتكاب الموبقات يقشعر لها الجسم، وتنبئ عن تحول الإنسان (المتمدن كما يسمونه) إلى وحش كاسر مجهز بأحدث الوسائل لارتكاب أبشع الجرائم!!

والشرق الإسلامي ابتلي أيضا بما ابتلي به الغرب وان لم تتوفر فيه الإحصائيات.

فالزنا والقمار والميسر والخمور والمخدرات على أنواعها راجت في عالمنا الإسلامي لتسفر عن أنواع من المآسي ابتداءً بألوان الإجرام كالقتل والسرقات وتفسخ العوائل وانهيارها.. وانتهاءً بضياع الشخصية الإسلامية للفرد المسلم والأمة المسلمة، حتى أصبحت أمتنا - ويا للأسف - سلعة يساوم عليها سماسرة السياسة العالمية!!

مأساة الموبقات في العالم الإسلامي هي التي جرتنا إلى هذه التبعية المقيتة في الحقلين السياسي والاقتصادي، وهي التي جعلت مقدرات المسلمين في قبضة الكفر العالمي.

إن الشراك التي نصبها أعداء المسلمين لأبناء المسلمين في الأندلس نصبوها أيضا في فلسطين فأسفرت عن أفظع مأساة في تاريخ المسلمين المعاصر.. مأساة ضياع فلسطين، ووقوعها بأيدي أعداء المسلمين التقليديين.

وهذه الشراك تنصب اليوم بدقة لرؤوس تُجعل بعد اصطيادها على دست الحكم والإدارة، وتُسلم إليها شكليًا مقاليد أمور المسلمين ومن وراء هؤلاء الغارقين في الرذيلة يتلاعب المتلاعبون بشرف المسلمين وكرامتهم وثروتهم.

# نصوص موثّقة من أقوال
# الحسين بن علي في كربلاء

## [أنا أحقّ من غيّر]

أيّها الناس إنّ رسول الله، (صلى الله عليه وسلّم) قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وسلّم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وسلّم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ماهي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح:١٠) وسيغني الله عنكم، والسلام .

## [كفى بك ذلاً أن تُرغما]

أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولكني أقول كما قال أخو الأوسيّ لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم) فقال له: أين تذهب؟ فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وماباالموتِ عارٌعلى الفتى ... إذا ما نَوى خيراً وجاهدَ مسلما

وواسَى رجالاً صالحينَ بنفسِهِ ... وخالفَ مثبوراً وفارق مجرماً

فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لمأُلمْ ... كفى بك ذلاً أن تعيشَ وتُرغما

## [أذنت لكم جميعاً فانطلقوا]

«أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضرّاء، اللهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين، أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإنّي قد أذنتُ لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً، ثم تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإنّ القوم يطلبونني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري.

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبدالله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبدا! فقال الحسين: يا بني عَقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك!

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسديّ فقال: أنحن نتخلّى عنك ولم نُعذر إلى الله في أداء حقّك؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. وتكلّم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيراً».

## [أنت ثقتي وعدّتي]

«اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدَّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته وكفيتنيه، فأنتَ وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كلّ رغبة».

## [إن وليّيَ الله]

«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾ (يونس:٧١) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (لأعراف:١٩٦)».

## [لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل]

«أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثمّ راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه، وأولى المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوَليس جعفر الشهيد الطيّار في الجنّة عمّي؟ أوَلم يبلغكم قول مستفيض [فيكم]: إنّ رسول الله(ص) قال لي ولأخي: أنتما سيّدا شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول، وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً مذ عَلِمت أن الله يمقت عليه [أهلَه]، وإن كذّبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد ابن أرقم أو

أنسَاً يخبروكم أنّهم سمعوه من رسول الله(صلى الله عليه وسلم) أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟

فقال له شِمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول! فقال له حَبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وإن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

ثمّ قال الحسين: فإن كنتم في شك ممّا أقول أو تشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم. أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فلم يكلّموه، فنادى: يا شبث بن ربعيّ! ويا حجّار بن أجبر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل. ثمّ قال: بلى فعلتم. ثم قال: أيّها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم ابن عمّك، يعني ابن زياد، فإنّك لن ترى إلاّ ما تحبّ. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنوهاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله ولا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم أناخ راحلته ونزل عنها».

# من استراتيجية التقريب

## للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الايسيسكو)

إن وحدة المسلمين مقصد إسلامي جليل تتصدَّر أهم مقاصد التشريع، لقطعية دلالتها على وحدة الخالق سبحانه وتعالى، ووحدة شريعته، ووحدة عبادته، ولثبوت وجوبها، إذ يقول في محكم التنزيل : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾، كما يقول في آية أخرى : ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾، لذلك فإن التقريب في دلالته ومفهومه، هو جمع الأمة الإسلامية على الأصول الكلية، والثوابت الراسخة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ودعوة عملية منهجية تستهدف الوقوف أمام ظاهرة الاختلافات المذهبية، خشية خروج المقلدين من مسارها المشروع، وخوفًا من تفرق المسلمين في دينهم، وحفاظًا على جوهر الإسلام، وامتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

وتأكيدًا لما يوحّد المعرفة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، وفق الثوابت الإسلامية المستمدة من أصوله ومرجعيته الأساس،

ولتضييق هوة الاختلافات المذهبية، فقد حرصت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، من منطلق أهدافها، على السير قدمًا نحو تحقيق ما يصبو إليه عالمنا الإسلامي، وصولاً إلى أهدافها الرفيعة، وغاياتها النبيلة، وبغرض سدّ الذرائع المختلفة، التي استغلها أعداء الحقيقة الإسلامية ، وصدّاً للهجمات المتتالية التي يتابع إطلاقها ونشرها خصوم الإسلام.

وفي هذا الإطار الساعي إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، تم إعداد هذه الإستراتيجية، على أسس علمية وفكرية، مجردة عن المؤثرات العاطفية، والتحيز المذهبي، وبأسلوب مرن محكم، يجعله - بعد إقراره - ممكن التحقيق، قابلاً للبر مجة والتطبيق، إذ روعيت في هيكلته شروط وضوابط متكاملة، وتم وضعه في إطار الممكن والمقبول، وفي نطاق المرتكزات التالية :

**أولاً : شروط سلامة إستراتيجية التقريب**

وتتمثَّل في التالي :

١. حسن النية، وسلامة الطوية، فعليهما تبنى المقاصد وتتحقق الأهداف، وبهما يتم تشخيص سبل التقريب بين مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية.

٢. الحوار، ويعتبر الحوار الهادف شرطًا ضروريًا، لما له من أهمية قصوى، بل هو شرط أساس لا يمكن تجاهله في أي مرحلة

من مراحل تنفيذ هذه الإستراتيجية ووسائل تحقيق التقريب، ومن أجل أن يكون الحوار فاعلاً ومؤثرًا، فإنه يرتكز عمليًا على المسلمات العلمية والأسس المنطقية التالية :

أ) أن يكون المرجع في كل القضايا هوالقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، باعتبار أنهما أصل مصادر التشريع الإسلامي بالإجماع، كما أنهما منطلق كل تَحَاوُرٍ بين المسلمين.

ب) أن يبنى حوار التقريب على التسامح، ونبذ كل أشكال العصبية، والانتماءات المذهبية الضيقة، اللهم إلا الانتماء إلى تعاليم الإسلام الصحيحة.

ج) أن يقتصر الهدف على مقصد التشريع الإسلامي وهو التقارب، ونبذ ما يؤدي إلى التنافر والتضاد.

د) أن تكون أصول التشريع المتفق عليها مصدر الحكم في مسائل العبادات وقضايا المعاملات، التي تأتي مرجعيتها بعد الكتاب الكريم، والسنة النبوية.

٣. أن يستعان في تطبيق هذه الإستراتيجية بالفقهاء المتميزين من علماء المذاهب الإسلامية، والأساتذة الباحثين المتخصصين.

٤. أن تتبنى الحكومات والهيئات والمنظمات الإسلامية والفقهاء المتخصصون دعم خطط هذه الإستراتيجية وبرامجها، وإنجاح نشاطاتها المحلية وغير المحلية.

٥. أن تسهم المنظمات الإسلامية، الحكومية وغير الحكومية، والجمعيات ذات الصلة بميادين العمل الإسلامي، في ترجمة هذه الإستراتيجية إلى أعمال وأنشطة تحقق للمسلمين مقاصد التشريع الإسلامي.

**ثانياً : الأسس الفكرية والعلمية للتقريب**

ترتكز إستراتيجية التقريب التي تعد الأولى من نوعها في هذا المجال المهم، على أسس فكرية ومنطلقات علمية، ومرجِّحات عقلية ونقلية، يأتي في مقدمتها ما يلي :

١. تأكيد نقاء الشريعة الإسلامية، وخلو مصادرها الأساس من الاختلافات الفكرية المناقضة لأساس الشريعة والعقيدة، وتأكيد أن جوهر الإسلام بمقوماته وثوابته واحد، نزل به الروح الأمين، من لدن رب حكيم واحد، وعلى لسان نبي واحد، وبدستور محكم واحد.

٢. التأكيد على أن أحكام المسائل التشريعية التي تجمع المذاهب وتوحدها، والتي تلتقي حولها الاجتهادات الفقهية، كثيرة جداً، يصعب حصرها في صفحات هذه الإستراتيجية، لكنها ترد مفصلةً في مصادر التشريع، وكتب الفقه الإسلامي.

٣. وهنا لابد من الإشارة إلى ما أكدته الدراسات التاريخية وأوضحته البحوث العلمية، من أن المسائل الفقهية الخلافية قد

تكونت منها ثروة فقهية وفكرية عالية وغالية، حَرِيةٌ بالاهتمام بها وبتعلمها ونشرها، وأنها على سبيل الإجمال، وإن كانت ظنية اجتهادية، لم تخرج عن مصادر التشريع الإسلامي الأساس، ولكنها نتاج فَهْم النصوص وتفسيرها، أو ثبوت الحديث الوارد فيه النص. وتجدر الإشارة إلى أن الصحابة الذين كانوا يجتهدون ويعملون عقولهم عند ورود النص، كانوا مع ذلك وعلى مسمع ومرأى من رسول الله صلى الله عليه و سلم، أشد حرصًا على الأخذ بالدليل القرآني واتباع سنة الرسول الكريم، إذ كان الرأي الاجتهادي لديهم تشريعًا في أضيق الحدود، ولا يتعدى كونه حكمًا ظنيَّ الدلالة، وليس بحكم قطعي، ولذلك لم يتفرقوا مذاهب. ومع توالي الأيام، وتتابع انتشار الإسلام واتساع رقعته، ومع بروز المستجدات على الساحة الإسلامية وتطور حياة المسلمين، فقد كان حينذاك أمرًا ضروريا أن يحمي العلماء والفقهاء الإسلامَ من نفثات المندسين فيه، ومن جهل الجاهلين به، وذلك ما فعلوه عند انطلاق تدوين الأحاديث، وجمع أدلتهم الفقهية، وتوسيع قواعد الاجتهاد.

وهذا ما يؤكد أن جوهر الاختلاف الفقهي كان أساسه طلب الحق ؛ إذ فتح للناس باب التوسعة والرحمة، في إعمال الدليل وفق ما وصل اليه أئمة الفقه المجتهدون، الذين لم يكونوا

يسعون إلى أن يقلدهم غيرهم.

لذلك فإن من غايات هذه الإستراتيجية، أن تتبين نوازع الاختلافات المذهبية الإسلامية، ليتم الوقوف عليها والعودة بها إلى مصادرها الصحيحة، تحقيقاً للهدف الأسمى المتمثل في إعادة اللُّحمة بين أبناء الإسلام في ظل التشريع الصحيح، ليتمكن المعنيون في عالمنا الإسلامي بهذه الخطوة، من تحديد معالم الطرق العملية، والإجراءات التنفيذية، ووضع رؤية إسلامية عملية، تنطلق في آفاق المعرفة مستهدفةً قلوب المسلمين ومشاعرهم، للَمِّ شملهم وجمع كلمتهم، روحيًا، وعلميًا، وثقافيًا، وحضاريًا، وصولاً إلى تحقيق أهداف التقريب في وحدة الأمة الإسلامية، المرتكزة على وحدة العقيدة ووحدة التشريع.

من ذلك المنطلق يتبين أن للتقريب بين المذاهب الإسلامية أبعادًا عظيمة وغايات جليلة وأهميات قصوى.

### ثالثاً : أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية

تنطلق أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية من مكارم الشريعة الغراء، ومن مدلولات التشريع، ومقاصده الرامية إلى توحيد كلمة المسلمين وفق الأمر الإلهي الذي أعربت عنه الآية الكريمة : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته

إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾، وغيرها من الآيات القرآنية الكريمة الدّالة على وجوب الاعتصام بالسبل المنجية من التمزق والتشرذم، والحاثّة على التمسك بهدي الله السليم ونهجه القويم.

كما تنطلق هذه الأهمية من مقتضيات حال المسلمين وواقعهم، ومما تحتمه مصلحتهم المشتركة من وجوب التعاون والتآزر، الأمر الذي استدعى وبشكل محكم ومنظم، وضعت هذه الإستراتيجية، في إطار مشروع حضاري، استمد فلسفته من ضرورة دينية، ورؤية موضوعية تستهدف مصلحة المسلمين في الحال والمآل، إيماناً من المسؤولين في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، واقتناعهم بأن المشاريع الحضارية لا تبلغ شأوها وتحقق أهدافها إلا بقدر الخطط والاستراتيجيات التي يستند إليها مسارها».

ومن تلك المنطلقات وأمام ما يبرز أمام العالم الإسلامي من تحديات جسام، تأتي ضرورة مواصلة الجهد والعمل من أجل التقريب، لاسيما وأن المسلمين اليوم أشد ما يكونون احتياجًا إلى هذه الإستراتيجية، التي ستصل بالعمل الإسلامي إلى ترسيخ مبدأ التآلف والتقارب، ونبذ الاختلاف بأسهل السبل، وأيسر الأساليب ، ليصبحوا كما أراد الله سبحانه وتعالى : ﴿ خير أمة أخرجت

للنـاس ﴾، إخـوة في الله، متحـابين غـير متفـرقين ولا متنـازعين، ينعمون بوحدة التشريع، ويرفلون في حلل الدين القويم.

وإذا ما أعطيت الإستراتيجية حقها من التنفيذ والمتابعة، فإن مسألة التقريب التي جسدتها، في كامل بنيتها التنظيمية، ـ مقدمةً وأهدافًا وأسسًا ومضامين ووسائل ـ ليست بمستعصية الحل ولا صعبة المنال، خصوصًا وقد ارتكزت على الأسس الرئيسة التي سبقت الإشارة إليها.

وإن من شأن التقريب بين المذاهب الإسلامية، أن يضيّق هامش الفرقة بين أتباعها، وأن يقوي اللحمة الإسلامية ويجذرها في قلوب المسلمين، وبدون ذلك تتضاعف المشكلات الاجتماعية وتتكاثر الاضطرابات الفكرية، ويختل الأمن الاجتماعي والاقتصادي، وتتسع رقعة الاختلافات. ومن هنا يتبين أن التقريب يعدّ أحد مرتكزات الاستقرار الشامل، الذي تشتدّ حاجة المسلمين اليوم إليه، لتحقيق حياة إسلامية أرغد، وعيش إيماني أهنأ، في جوّ من التكامل والتعاضد والتناصر، مما سيتيح للأمة الإسلامية أن تجد لها مكانًا في الحياة المعاصرة، وتتمكن بتقاربها وتكاملها من الحفاظ على ذاتيتها وهويتها، وتستطيع أن تقي نفسها ومقدراتها ومستقبلها، من أي هيمنة، لاسيما وأن لديها من المقومات

الحضارية والتاريخية والتشريعية والإنسانية، ما ليس لدى غيرها من الأمم.

**رابعًا : فضل التقريب في استقرار الأمة الإسلامية وتماسكها**

يعدّ التقريب بين المذاهب الإسلامية عاملاً مهمًا في تضييق رقعة الخلافات والحدّ من انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتن، وجسرًا متينًا لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح واتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة وتدعيم عناصر وحدتها، وهو ما أكده المنهج الإلهي في قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون﴾.

**خامساً : مسؤولية التقريب في العالم الإسلامي**

إن أمر القيام على التقريب يقتضي وجود أجهزة ومؤسسات ومجالس وهيئات، حكومية وغير حكومية، يُسْنَدُ العمل فيها إلى فقهاء مبرزين وعلماء متخصصين.

ومن تلك الأجهزة والمؤسسات ما هو قائم فعلاً وأدى ولا يزال يؤدي دورًا كبيرًا وفاعلاً في مضمار التقريب، ومنها ما سيتم إحداثه وتكوينه في إطار أنشطة هذه الإستراتيجية، سواء تكوّنت داخل البلدان الإسلامية، أو ضمن هيكلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مع التسليم بأن الموجود والقائم منها

فعلاً، بحاجة إلى التكامل والتنسيق العلمي والفني مع الجديد، وخصوصًا مع المهتمين بقضايا التقريب.

وعلى مستوى الأداء، فإن مسؤولية التقريب بين المذاهب لا ينبغي أن تقتصر على ما هو قائم من أجهزة ومؤسسات نشطة، ولا على ما يمكن أن يتم إنشاؤه من مجالس أو هيئات، تحت رعاية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، بل لا بد أن تسهم فيها الوزارات والمؤسسات الحكومية التي لها صلة بميادين الفكر والثقافة والإعلام، وشؤون الدين الإسلامي، كوزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، والثقافة، والإعلام، بكل مؤسساتها ووسائلها، ووزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي، إضافة إلى المجامع العلمية الإسلامية، وغيرها من الأجهزة والمعاهد العاملة في ميادين التوجيه الديني والثقافي، جنبًا إلى جنب مع الجامعات والمعاهد الإسلامية المتخصصة، والهيئات، والنقابات التي لها نشاط في محو الأمية الدينية، ومحو الأمية الثقافية، وأي جهة لها صلة واتصال بتنفيذ هذه الإستراتيجية، ومنها المنظمات العربية والإسلامية والدولية.

# من شعر
# رثاء الحسين
## في الأندلس

### لصفوان بن إدريس التجيبي الأندلسي

سـلامٌ كأزهـارِ الرُّبـى يَتَنَسّـم ... علـى منـزلٍ منـه الهـدى يُـتَعلّم

علـى مصـرعٍ للفـاطميين غُيّبـت ... لأوجههـم فيـه بـدورٌ وأنجـمُ

علـى مشـهدٍ لـو كنـتَ حاضرَ أهلِهِ ... لعاينـتَ أعضـاء الـنبي تُقَسّـم

علـى كـربلا لا خلّفَ الغيثُ كـربلا ... وإلاّ فـإنّ الـدمعَ أنـدى وأكـرمُ

مصـارعُ ضـجّت يثـربٌ لمصـابها ... ونـاح علـيهنّ الحطـيمُ وزمـزمُ

ومكـةُ والأسـتارُ والـركنُ والصـفا ... وموقـفُ جمـعٍ والمقـامُ المعظّـمُ

وبـالحَجَر الملثـومِ عنـوانُ حَسْـرةٍ ... ألسـتَ تـراه وهـو أسـودُ أسْـحَمُ

وروضـةُ مولانـا النبّـي محمـدٍ ... تُبَـدّي عليـه الثكـلَ يَـومَ تَخَـرّمُ

ومنـبره العُلـويّ للجـذع أعْـوَلا ... علـيهم عـويلاً بالضـمائر يُفهـم

ولـو قَـدّرت تلـك الجمـاداتُ قـدرَهم ... لـدُكّ حَـراء واسـتُطير يَلَملَـمُ

ومـا قـدرُ مـا تبكـي الـبلادُ وأهلُهـا ... لآل رسـول الله والـرزءُ أعظـمُ

وأقبلـت الزهـراء قُـدّسَ تُربُهـا ... تنـادي أباهـا والمـدامعُ تَسْـجمُ

سـقوا حَسَـنًا للسُـمّ كأسًـا رَويّـةً ... ولم يقرعـوا سِـنًا ولم يتنـدّموا

وهـم قطعـوا رأسَ الحسـين بكـربلا ... كـأنهم قـد أحسـنوا حـين أجرمـوا

أبي، وانتصر للسبطِ واذكر مُصَابه ... وغلّتَـه والنهـرُ ريّـان مُفعَـمُ

وأسـرَ بنيـه بعـدَه واحتمـالَهم ... كـأنهُمُ مِـنْ نَسـلِ كسـرى تُغُنّمـوا

ولكنّهـا أقـدار ربٍّ بهـا قَضَـى ... فـلا يتخطّـى الـنقضَ مـا هـو يُبَـرمُ

قَضَى الله أن يَقْضي عليهم عبيدُهـم ... لتشـقى بهـم تلـك العبيـدُ وتـنقمُ

هُـمُ القـوم، أمّـا سـعيُهم فمغيّـبٌ ... مُضـاع وأمّـا دارُهـم فجهـنّمُ

فيـا أيهـا المغـرور والله غاضـبٌ ... لبنـتَ رسـول الله أيـنَ تَـيَمَّمُ

ألا طـربٌ يُقلَـى ألا حـزنُ يُصـطفي ... ألا أدمـعٌ تجـري ألا قلـبُ يُضـرم

قفـوا سـاعدونا بالـدموع فإنهـا ... لَتَصـغر في حـقِّ الحسـين ويَعظُـمُ

ومهمـا سَـمِعتم في الحسـين مراثيًـا ... تعبّـر عـن محـضِ الأسـى وتُترجِـم

فمـدّوا أكفًـا مُسعـدين بدعـوة ... وصلّوا على جسـمِ الحسين وسلّمـوا